SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.24 NO. 2 2025
DOI: 10.51984/JOHS.V24I2.3937

مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية
Sebha University Journal of Human Sciences
Journal homepage: http://www.sebhau.edu.ly/journal/johs

مفهوم التدبر في القرآن الكريم: دلالاته، وكيفية الوصول إليه

أبو بكر محمد أبو بكر نور الدين

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة سبها، ليبيا

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة تحليلية في مجال تفسير القرآن الكريم، يتم من خلالها تتبع الآيات التي تناولت جانب التدبر من خلال مفهومه وأوجهه وتصاريفه، وكيفية الوصول إليه، فجاءت الدراسة في أربعة مباحث، المبحث الأول في مفهوم التدبر، ويندرج تحته ستة مطالب من حيث معناه لغة واصطلاحاً، وعرض نماذج ونصوص من تدبّر النبي وصحابته ، وذكر شيء من أقوال العلماء في مفهوم التدبر بشكل عام، وبيان دعوة القرآن إلى التدبر، ومن ثم عرض الآيات الواردة في التدبر وإمعان النظر في معاني هذه الآيات، والوقوف على أقوال العلماء فيها والمفسرين بالخصوص، أما المبحث الثاني ففيه أربعة مطالب، متضمنة بيان أوجه التدبر التي تم رصها ودعمها بشيء من آراء المفسرين، ومن ثم عرض الآيات التي ذكر فيها لفظ التدبر أو أحد أوجهه، وأما المبحث الثالث فتضمن ثلاثة مطالب، يتم فيها عرض تصاريف التدبر في القرآن الكريم من خلال عرض الآيات الكنية، وأما المبحث الرابع فيم فيه استنتاج الكيفية المثلى للتدبر والوصول إليه، وعلى إثر ذلك تم وضع عنوان لهذا البحث مفاده: مفهوم التدبر في القرآن الكريم: دلالاته، وكيفية الوصول إليه، وبعد هذا الترتيب يأتي ذكر الخاتمة التي تتضمن أهم النتائج والتوصيات، يعقب الخاتمة فهرس للمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية:

مفهوم التدبر
دعوة القرآن الكريم إلى التدبر
أوجه التدبّر
تصاريف التدبر
كيفية التدبر والوصول إليه

The concept of contemplation in the Holy Quran: its significances and how to reach it.

Aboubakr Mohammed Aboubakr Nouraldeen

Department of Islamic Studies, Faculty member at the Faculty of Arts, Sebha University, Libya

A B S T R A C T

This research presents an analytical study in the field of Quranic exegesis, tracing the verses that address the aspect of "Tadabbur" (contemplation) through its concept, facets, and conjugations, and how to achieve it. The study is structured into ten sections. The first section delves into the linguistic and terminological meanings of "Tadabbur." Subsequent sections sequentially present models and texts of the Prophet's (peace be upon him) and his companions' (may Allah be pleased with them) contemplation, along with some scholars' statements on the general concept of "Tadabbur," and the Quran's call for contemplation. It then proceeds to analyze the verses related to "Tadabbur," examining their meanings, and considering the scholars' interpretations, particularly those of the exegetes. The study identifies and supports the aspects of "Tadabbur" with exegetical opinions. Furthermore, it presents the verses containing the word "Tadabbur" or its related forms, and deduces the methods of contemplation and its attainment. Consequently, the research is titled: "The Concept of Tadabbur (Contemplation) in the Holy Quran: Its Meanings and How to Achieve It." Following this arrangement, the conclusion outlines the key findings and recommendations, succeeded by an index

Keywords:

The concept of contemplation
The Holy Qur'an's invitation to contemplation
Aspects of contemplation
the costs of contemplation
How to contemplate and reach it.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، تبصرة لأولي الألباب، وأودعه من فنون العلوم والحكم العجب العجاب، وجعله أجلّ الكتب قدرًا، وأغزرها علمًا، وأعذبها نظمًا، وأبلغها في الخطاب، قرآنًا عربيًا غير ذي عوج ولا مخلوق ولا شبهة فيه ولا ارتياب، وأشهد أن لاّ إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرباب، وأشهد أن نبينا، ورسولنا، وإسوتنا، وإمامنا محمدًا عبده ورسوله، المبعوث من أكرم الشعوب وأشرف الشعاب، إلى خير أمة بأفضل كتاب، صلّى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الأنجاب، صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم المآب، وبعد:

*Corresponding author:
E-mail addresses: bou.noridin@sebhau.edu.ly

Article History : Received 16 April 2025 - Received in revised form 15 August 2025 - Accepted 17 August 2025

فإن القرآن الكريم قد اهتم بتربية النفوس، وحثّ المخاطبين على الالتزام بالفضائل واجتناب الرذائل، ودعاهم إلى التدبر في آياته، وإلى التفكر والنظر في آثار الكون، وفي خلق السموات والأرض وما فيهما من مخلوقات، ومن عجيب ما نبه عليه القرآن أن الكون وتنوعه علامات بينة تثبت عجائب قدرة الله وبدائع حكمته ووحدانيته لمن أراد أن يتدبر أو أراد تفكرًا، وهو مؤشر واضح المعالم والدلالات، يدعو العقول إلى التأمّل في حكمة ما شرع الله لعباده من عبادات ومعاملات، وأخلاق وآداب، لما يجنيه المسلم جراء ذلك من آثار السكينة والطمأنينة.

أهمية الموضوع:

لا شك أن تحديد الأهمية لكل عمل من شأنه أن يساعد على اختيار أنجح الوسائل الكفيلة بتحقيق الغاية منه في سرعة وسهولة، ومما ينبغي أن يتنبه إليه: أن الأمة في العصر الراهن بحاجة ماسة إلى المتدبرين أكثر من حاجتها إلى المفسرين، فما أكثر المفسرين للقرآن، ولكن ما أقلّ المتدبرين!! فينبغي أن يكون تدبر القرآن الكريم غرضاً للناظر في آياته، فهو كتاب يهدي للتي هي أقوم، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، وكتاب بهذه الصفات لهو أحق أن يتدبر، ويفهم المراد من إنزاله، حتى يصبح هوى النفس هدى ربها.

ومن هنا كان لزاماً على المسلمين قراءة كتاب الله قراءة يصحبها التدبر والخشوع مع الآيات، حتى تتفاعل معها القلوب والأفئدة، وبالتالي ينعكس ذلك على الجوارح والسلوك، فمن غير التدبر لا يمكن أن يكون هناك تأثر، ولا ينعكس التدبر على السلوك، لا سيما وأن المسلم سوف يجني من وراء ذلك شيئين اثنين هما: الهداية في الدنيا، والفوز في الآخرة.

وحينما تفتح القلوب لآيات القرآن تربو النفوس وتهتز من عظمة المنزل، والسامع إذا تأثر امتثل، وتدبره لا يتأتى إلا من خلال فهم معانيه واستظهارها وتدبرها بما فيها من العبر والعظات، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي التي جاءت فيه، والوقوف على مقاصده، ثم تخزين هذه المعالم في القلب، لينقلها بدوره انعكاساً إلى الجوارح، وتصديق ما فيه من أخبار، واعتقاد بأنه منزل من الله تعالى، وشعور القاري بأن القرآن يخاطبه مادام لديه العقل واللغة العربية، فالقلوب لا تتغذى إلا بالتدبر والخشوع، حتى يتم التفاعل مع معاني الكلمات القرآنية التي يجد المتأمل أنها في غاية الفصاحة لفخامة ألفظها وحسن نظمها، وبناء على ذلك فإنه يمكن القول بأن التدبر أجلّ نافذة يطل بها المؤمن على كتاب الله، لأن آيات القرآن فيها دلائل تستوقف المتدبر لمعرفة ما وراءها من المعاني.

ومن خلال هذه المعطيات والنظر فيها قرّر الباحث إعداد دراسة تحليلية في مجال تفسير القرآن الكريم، يتم من خلالها تتبع الآيات التي تناولت جانب التدبر من خلال مفهومه ودلالاته وتصاريفه، وإمعان النظر في معاني هذه الآيات، والوقوف على أقوال العلماء فيها والمفسرين بالخصوص، ومن ثم الوصول إلى الكيفية المثلى للتدبر.

الإشكالية:

لا شك أن الحديث عن التدبر وتناول مسائله ضمن مفهومه قد سال فيه حبر كثير تبعاً لاعتبارات مختلفة، ولقد غفل عن هذا المفهوم الجامع كثير من العامة، وغير قليل من الخاصة، مما لا يعدو القراءة الخالية من إمعان النظر والتفكر فيما وراء معاني الآيات، والآثار المترتبة على ضياع ذلك الوقت الثمين، والذي بدوره سيشكل عائقاً أمام تذوق حلاوة الآيات والتفاعل مع معانيها دون كلل أو ملل؛ لأنه منهج التلاوة الأمثل الذي يجب أن يعاد إليه الاعتبار، فمن أي جهة نظرت إلى كتاب الله بدا لك غاية في التألق، وكل قضية تثير قضايا، وحينئذ تتولد المعرفة، فما كتاب حصل على هذا الاهتمام مثل القرآن، وقد أدرك كثير من العلماء هذه المسائل التي هي من الأهمية بمكان، ونجد المفسرين منهم بالخصوص يقطعون بهذه القضية، وماذا يقال في أمر يقدم مراد الله تعالى من كلامه، فيتوصل بفهمه إلى منزله، ويؤنس به في الطريق إلى معرفته.

بات واضحاً الآن الاهتداء أن لكل شيء له آية تدل عليه، وهذا يحيلنا إلى ضبط المفاهيم وتحرير النصوص، وتقريب المضامين، ورفع الحجاب عن المعاني إصلاحًا لشأن العباد، والذي يجب أن يذكر: أن عرض الآيات الكونية بالخصوص وما تدل عليه من حقائق علمية، لم تذكر في القرآن الكريم لمجرد الذكر، أو من أجل بيانها للناس ودلالتهم عليها ابتداءً، وإنما سيقت مساقًا تابعًا للغرض والهدف الذي ذكرت في ثناياه من الاستدلال بها على قضايا كبرى؛ كالألوهية والنبوات والبعث.

والأمة الإسلامية أحرزت قصب السبق في عنايتها بالقرآن، فهو معجزة مستدامة على امتداد الدهر، وقد نبه جمع من العلماء على توصيف التجليات لهذا المنزل، فالله -عز وجل- بين لبعض الآيات الكونية حكمًا خاصة بها بالإضافة إلى الحكم السابقة، كل ذلك تحقيقًا لمصالح المخاطبين، وهو إن دلّ على شيء فإنما يدل على حكمته تعالى وإعجاز كلامه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو –جل شأنه– أحكم الحاكمين، وحكمته تتمثل في إحاطة علمه بالأشياء وإيجادها على غاية الإحكام.

وبناء على ما ذكر يمكن أن نستل عدة تساؤلات:

1- هل التدبر واجب أم مستحب؟ وهل يثاب القارئ للقرآن بقراءة لا يصحبها التدبر.
2- ما المدى الذي يحتاجه المتدبر من التفسير اليسر للقرآن حتى يصبح هوى النفس هدى ربها؟ وهل يندرج تفسير القرآن بالهوى المجرد عن العلم ضمن التدبر؟
3- هل للتدبر حدود وضوابط لكي يصل القارئ إلى الكيفية المثلى؟

الدراسات السابقة:

لا شك أن موضوع تدبر القرآن مجال عام، نبه عليه المفسرون، وتناوله كثير من الباحثين بالدراسة، حيث تناول كل منهم هذا الموضوع من زاوية معينة، تخدم غرضه، ومن بين هذه الدراسات التي وقفت عليها ما يلي:

1- التدبر القرآني وصناعة السؤال البلاغي، للباحث: حمود إبراهيم العصيلي، مجلة العلوم العربية والإنسانية 2023م، وقد تناولت هذه الدراسة جانبًا معينًا؛ وهو التدبر من ناحية السؤال البلاغي، وهي تكشف لمتدبر القرآن كيف يكون الفرق بين التدبر الروحي والتدبر العقلي.
2- تدبر القرآن الكريم، للطالب: عبد اللطيف بن عبد الله التويجري، مجلة تدبر 2020م، ويتناول البحث مفهوم التدبر وأهميته في حياة الفرد والمجتمع، مع التركيز على ضوابطه، وموانعه.
3- تدبر القرآن ومآلاته، للباحث فتحي صالح معتوق، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة طرابلس، نشر في مجلة البحوث الأكاديمية، العدد 17 (339-365)، وهذه الدراسة محاولة لتغطية جزء من موضوع التدبر في الجانب الإيماني، وإبراز

الجوانب الإيمانية والتربوية لهذا المبدأ التربوي، واستنباط الأهداف التربوية.

ومن المجموع الملتئم لهذه الدراسات نجدها قد تناولت في عمومها مفهوم التدبر من ناحية سموه في الجانب الروحي، ومدى انعكاس هذه المعالم في حياة الناس وسلوكهم، ولم تتناول التدبر من ناحية دلالاته وتصاريفه بالخصوص، والجدير بالإشارة في هذا المضمار أنني توقفت عند هذا الموضوع، وكنت عند هذه المسألة أنصرف عنها حينًا يأسًا، ثم أعود إليها حينًا حتى هديت إلى ما ظننت، فإن تناول مفهوم التدبر قد اقتضى منهجياً أن تنصب الدراسة على الدلالات، والتصاريف، وكيفية الوصول إليه، وتقرير القضايا لا يكون إلا بالاستنتاج والقراءة الجيدة للنصوص، والتي من شأنها أن تؤدي إلى تقريب المضامين ورفع الحجاب عن المعاني.

منهج البحث:

كان من أهم المناهج التي سار عليها الباحث هي: المنهج الاستقرائي، والمنهج النقلي، والمنهج التحليلي، متخذاً الاستقراء والتحليل في دراسة الجزئيات بهدف الوصول إلى فهم الكليات، ومن ثم المنهج النقلي الذي يتم من خلاله استنباط الجزئيات مادة أساسية.

وسوف ينحصر الكلام على مفهوم التدبر وإيضاح مدلولاته وتصاريفه، وإيراد شيء من أقوال العلماء في هذا الشأن، وبيان أوجه التدبر التي تم رصها ودعمها بشيء من آراء المفسرين، ومن ثم عرض الآيات التي ذكر فيها لفظ التدبر أو أحد أوجهه، والوقوف على الاستدلالات من خلال أقوال المفسرين في هذه الآيات، وبعد هذا الترتيب يأتي ذكر الخاتمة التي تتضمن أهم النتائج والتوصيات، يعقب الخاتمة فهرس للمصادر والمراجع.

والله أسأل أن يجنبني زلة الفكر، وعثرة القلم، وأن يسهل لي طريق الوصول لزمرة أهل العلم، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

المبحث الأول: (مفهوم التدبر في القرآن الكريم):

المطلب الأول: معنى التدبّر:

التدبر لغة: مصدر مشتق من مادة: (دبر) التي تدل على آخر الشيء، والأصل أنّ جلّه في قياس واحد؛ وهو أنّ دبر الشيء خلاف قُبُله، يقال: تدبرته تدبراً: نظرت في دبره؛ والاستدبار: طلب دبر الشيء، والتّدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتّدبّر في الأمر: التّفكّر فيه وحصول النظر في الأمر المتدبر مرة بعد مرة، يقال: دبرت الأمر تدبيراً: فعلته عن فكر وروية، وتدبرت الشيء: فكرت في عاقبته، والتدبير أن يدبر الإنسان أمره كأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته، وجاء لفظ التَّدبُّر على صيغة التفعّل؛ ليدل على تكلّف الفعل، وحصوله بعد جهد[1].

التدبر في الاصطلاح:

ليس من شك أن تحديد المصطلح أمر بالغ الأهمية، وتأتي أهميته لمن أراد أن يتبحر ويخوض في غمار تحديد المعنى المراد.

وعليه فإن التدبّر اصطلاحاً يعرف بأنه: النظر في أدبار الأشياء، وفي أي أمر إلى آخره، وتصرف الرأي في مفهومه ومعقوله عن طريق إعمال العقل والتفكير في عاقبته؛ إلا أن التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب، والتفكر تصرفه بالنظر في الدلائل[2]، والأصل في التأثر بهذا القرآن هو القلب، ولذلك كان خير ما تحيا به القلوب تلاوة القرآن بتدبر، وتدبر القرآن أن لاّ يقتصر القارئ عند ظاهر ألفاظه، وإنما ينظر بعين قلبه وعقله فيما وراء هذه الألفاظ من مقاصد وغايات، ويطمح بفكره إلى ما وراء ألفاظ الآيات، فيعيش مع القرآن بقلبه، ليستخرج درراً من المعاني.

وتعددت أقوال العلماء في المعنى الاصطلاحي لمعنى التدبر؛ وهذا ما يدلنا على أنهم أولوا مباحث القرآن الكريم عناية كبيرة، والناظر في أقوال المفسرين على وجه الخصوص يلحظ: أن مفهوم التدبر ينصرف إلى كل تأمل مثمر يكشف عن هدايات القرآن، يقول الألوسي: "أصل التدبر: التأمل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه"[3].

ويمكن استخلاص مجمل آرائهم في هذا المفهوم، وعرضها بأوجز الإشارات وأخصر العبارات، ومن بين هؤلاء الزمخشري الذي عرفه بقوله: "تدبُّر الأمر: تأمُّله والنظر في إدباره وما يؤل إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل"[4]، وعرفه ابن عطية بأنه: "النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء"[5]، ويعرفه الطاهر بن عاشور بأنه: "إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له"[6]، ويقول الكفوي: "التدبر: تصرف القلب بالنظر في الدلائل، والأمر بالتدبر بغير فاء للسؤال في المقام، وبالفاء يكون بمعنى التقرير والتحقيق لما بعده"[7].

وبعد هذا العرض يظهر: أن أصحاب التعريفات السابقة الْتفتوا الْتفاتات صريحة بينوا من خلالها: أن التدبر من أجلّ مظاهر العناية بالقرآن، وأنه مقصد من مقاصد نزوله، وهو السبيل لبيان غاياته ومقاصده، والمراد من تدبره: النظر والتفكّر في غاياته ومقاصده، وعاقبة من يعمل به ومن يخالفه، ويلاحظ أن أقوالهم متفقة في تحديد المعنى بعض الشيء، وكل له مناسبته وموضوعه، وبعد حذف المتداخل وتوحيد المتشاكل من هذه الأقوال يستخلص: أن تدبر القرآن يكون بتأمل معانيه وتبصّر ما فيه، وأثر السامع من هذه المعالم، فهو مترجم عن إيمان ينبع من القلوب، فكل آية من القرآن تستوقف القارئ لها، حتى إذا أقبل إلى القرآن بادر إلى التدبر، لاسيما إذا بلغ المتدبر والسامع غايات الفهم، وهناك مظاهر ينبغي استجماعها؛ منها التضرع والاقرار بالذنب، وإظهار العجز والحاجة إلى الله تعالى، فالذي يحسّ ببيان القرآن الإيقاعي يهتز قلبه وجوارحه، فضلاً عن تأثير ألوان المعاني وعمق الإيمان وأصالته في أصناف المهتدين، وفي إشارة إلى سمو البيان القرآني، نبه تعالى أنه خلق الإنسان، وعلمه البيان، وقدم على هذا التنبيه ذكر القرآن الذي هو قمة البيان، فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [سورة الرحمن، الآية:1-4].

وقد تنبه ابن القيم إلى هذا الأمر، وأجاد فيه أيما إجادة حين بين معنى التدبر بقوله: "هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر"[8]، وهكذا ينبغي لتالي القرآن أن يستحضر عظمة المتكلم ويتدبر ويتفهم معانيه، وما أراد الله منا بهذا القرآن، ويطبع نفسه على قبول ما جاء به قبولاً ينعكس أثره، ويظهر في العمل والتنفيذ، وأن يستوضح من كل آية ما يليق بها، ويتفهم ذلك.

المطلب الثاني: تدبّر النبي ﷺ للقرآن:

كرم الله تعالى نبيه محمداً -ﷺ- بأن أنزل عليه أفضل الكتب، فأحكم فيه حلاله وحرامه، وأمره ونهيه، وكان -ﷺ- أكمل عباد الله وأكثرهم تدبراً وتفكراً في آيات الله، وكان يعول على العقل في الدعوة، وهو أول السابقين إلى التدبر، فإذا شرع في قراءة القرآن كان شأنه التدبّر والخشوع والتفكّر، وقراءته -ﷺ-

كانت على مكث لكي يفهم عنه، والدلائل على فعله ذلك وصحابته أكثر من أن تحصر.

ولا شك أن أعظم الأدب أدب رسول الله ﷺ، فأقواله لا تعدلها أقوال، وأفعاله لا تعدلها أفعال، وتلاوته -ﷺ- للقرآن بعضها تبليغ للتنزيل، وبعضها وعظ وإرشاد، فلا يسع أحداً من المسلمين يسمعه يقرأ أن يعرض عن الاستماع أو يتكلم بما يشغله أو يشغل غيره عنه[9]، وقد ورد عنه -ﷺ- الأمر بالتفكر حين قال: «تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ»[10]، وعن حذيفة بن اليمان -ﷺ- يصف قراءة رسول الله ﷺ في صلاته: «يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ...»[11]، وعن عوف بن مالك -ﷺ-، أن رسول الله -ﷺ-: «لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ ...»[12].

وكان -ﷺ- يحب أن يسمع القرآن من غيره، وروي أنه أمر عبد الله بن مسعود -ﷺ-، فقرأ عليه وهو يسمع، وخشع -ﷺ- لسماع القرآن منه حتى ذرفت عيناه، فعن عبد الله بن مسعود -ﷺ- قال: قال لي النبي -ﷺ-: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قلت: يا رسول الله، آقرأ عليك، وعليك أنزل؟! قال: «نَعَمْ»، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء، الآية:41]، قال: «حَسْبُكَ الآنَ»، فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان[13]، ويستنبط من هذا الحديث: استحباب الاستماع إلى القراءة، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له، والإصغاء لها، والبكاء عندها، وهذا أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه[14]، وعن أنس بن مالك -ﷺ-: أن رسول الله -ﷺ- قال لأبيّ بن كعب: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ»، قال: آلله سمَّاني لك؟ قال: «اللهُ سَمَّاكَ لِي»، قال فجعل أُبيّ يبكي[15].

ومن هنا نجد أن السنة النبوية أباحت أن يردد القارئ الآية الواحدة مراراً عند التدبر والتفكر في آيات الكتاب، وإن كان المقام مقام صلاة، وبينت السنة أنه -ﷺ- كان يتدبر الآيات من القرآن، ويرددها وهو قائم بالليل، وروي أنه في إحدى الليالي قام يصلي وهو يتلو قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة المائدة، الآية: 118]، فكان يرددها حتى أصبح[16].

المطلب الثالث: تدبّر الصحابة ﷺ للقرآن:

كان الصحابة -ﷺ- يكثرون من تلاوة القرآن وتدبر آياته، وهم على مكانة متصلة بتنزيل الكتاب، وكانت لديهم حافظة سيالة، وملكة تغنيهم عن تحريك الأقلام، فيحفظون أول ما ينزل، ويتدبرون ألفاظه ومعانيه، ويتأثرون بتلاوتها، فهم أكابر الهدى، وكانوا إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ عليهم القرآن فينصتون ويستمعون، ووردت الآثار الكثيرة عنهم في ذلك، وذكر القرطبي: أن أسماء بنت أبي بكر الصديق -ﷺما- قالت: كان أصحاب رسول الله -ﷺ- إذا قرئ عليهم القرآن تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم من خشية الله[17]، ويقول ابن تيمية: "مثل هذا كثير في القرآن، وهذا كان سماع سلف الأمة وأكابر مشايخها وأئمتها كالصحابة والتابعين ومن بعدهم ..."[18]، ويقول النووي: "والدلائل عليه - أي في التدبر والخشوع عند التلاوة - أكثر من أن تحصر، وأشهر وأظهر من أن تذكر، فهو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب ... والأحاديث فيه كثيرة، وأقاويل السلف فيه مشهورة"[19].

وجاء في وصف صاحب رسول الله -ﷺ- أبي بكر الصديق -ﷺ-: أنه كان رجلاً رقيق القلب، إذا صلّى بالناس وقرأ كلام الله لا يتمالك نفسه من البكاء، وذُكِر: أنه قدم أُناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق -ﷺ-، فجعلوا يقرؤون القرآن ويبكون، فقال أبو بكر -ﷺ-: "هَكَذَا كُنَّا، ثُمَّ قَسَتِ الْقُلُوبُ"[20]، وروي أن عمر بن الخطاب -ﷺ- خرج ليلة يتفقد أحوال الرعية بالمدينة، فمر بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائماً يصلي، فوقف يستمع قراءته، وكان الرجل يقرأ سورة (الطور)، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾[سورة الطور، الآية: 7 – 8]، قال -ﷺ-: قسم ورب الكعبة حق، فنزل عن حماره، واستند إلى حائط فمكث ملياً، ثم رجع إلى منزله، فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه[21]، وكان -ﷺ- يقول لأبي موسى الأشعري: يا أبا موسى، ذكرنا، فيقرأ عليهم وهم يسمعون ويبكون[22]، وروي عن عثمان بن عفان -ﷺ- قوله: "لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام الله عز وجل"[23]، وكان -ﷺ- يقف عند القبر ويبكي ويشتد بكاؤه ويقول: لو أني بين الجنة والنار، ولا أدري إلى أيتهما أصير لأحببت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير[24]، وعن علي بن أبي طالب -ﷺ-، قال: "لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها"[25]، وعن الحسن بن علي -ﷺا- قال: "إنَّ من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبَّرونها بالليل، ويتفقَّدونها في النهار"[26]، وعن ابن عباس -ﷺ- قال: "لأن أقرأ البقرة في ليلة فأتدبّرها وأرتّلها أحبّ إليّ أن أقرأ كما تقول"[27]، وعن أبي الدرداء-ﷺ- أنه قال: «تفكّر ساعة خير من قيام ليلة»[28]، وسئلت أم الدرداء -ﷺا- عن أفضل عبادة أبي الدرداء -ﷺ- قالت: "التفكّر والاعتبار"[29].

وفي الصحيح عن جبير بن مطعم -ﷺ-: أنه قال: «سمعت النبي -ﷺ- يقرأ في المغرب بالطّور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾[سورة الطور، الآية: 35-37]، قال: كاد قلبي أن يطير»[30].

فهؤلاء سمعوا القرآن بقلوب واعية، وآذان مصغية، فأحدث فيهم الخوف من الله –تعالى- ثمرته، ومنهم المعصوم، ومنهم من شهد له بالجنة.؟ وبه يعلم أن التدبر درجة إيمانية، يترتب عليها سلوكيات في القلوب والجوارح.

المطلب الرابع: أقوال العلماء في تدبّر القرآن:

تعددت أقوال العلماء في بيان فهمهم وتدبّرهم للقرآن الكريم وحثهم على ذلك، وكان سلف الأمة على جانب عظيم من هذا الأمر، فكانوا يتفكرون في خلق الله ويتدبرون آياته، ويحثون غيرهم على ذلك، وهو ما يؤكده ابن القيم بقوله: "هذه كانت عادة السلف يُرَدِّدُ أحدهم الآيةَ إلى الصباح"[31].

وثمت جملة من الأقوال في التدبّر أو الحث عليه، نص عليها غير واحد من العلماء، ويقرر الحسن البصري: أن الغرض من نزول القرآن هو التدبر والعمل به[32]، ويقول أبو حامد الغزالي: "كثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار"[33]، ويقول مكي ابن أبي طالب: "التمام في التلاوة أن يتدبر التالي باطن الكلام، ويتفكرّ في غوامض الخطاب، ويوقف قلبه على معاني المراد، ويعمل فكره في تذكر الموصل والترداد"[34]، ويقول الزركشي: "أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكر"[35]، بل عدّ السيوطي التدبر بحرف من كتاب الله أفضل من غيره دون تدبر[36]، ويقول محمد عبده: "إن الاستهداء بالقرآن واجب على كل مكلف في كل زمان ومكان، فعلى كل قارئ أن يتلو القرآن بالتدبر، وأن يطالب نفسه بفهمه والعمل به"[37]، ويقول الشعراوي: "من تسمّع لكلام الله وقرآنه يدرك القرآن بسمعه فينشأ عنه حلاوة ومواجيد في نفسه، وهذا هو الوجدان الذي ينشأ عنه انفعال نُزوعي، فلا يجد إلا أنْ يخر ساجداً لله تعالى"[38].

ومن عرض الأقوال السابقة نستخلص: أنه لابد أن تمتلئ القلوب بالاشتغال والتفاعل بالآيات، وكيف يستقبل قلب المتصل بالقرآن تلاوة هذه الآيات حتى يرتقي عنده منسوب الإيمان، فضلاً عن الحسنات المضاعفة التي يجنيها من أرصدة التدبر، مما يدلنا على نفاسة هذا المتلو وعظمته، وأنه مصدر البشرى والطمأنينة، فمن أي جهة نظرت إلى كتاب الله بدا لك غاية في التألّق، وسياق آياته ونسقها غاية في البداعة والنظم؛ لاتصالها بضروب من البيان، يقول الفخر الرازي: "إن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته"[39].

وإذا ما فقد القارئ للقرآن هذه الملكات الموصلة للتدبر، وشدة الرغبة والتعلق بكتاب الله، فإنه يكون كليل النظر، سقيم الفهم، ولا يستشعر بعظمة المنزل، ولا يتذوق حلاوة هذا النظم المعجز، وماذا يقال في كتاب يتوصل بفهمه إلى منزله، ويؤنس به في الطريق إلى معرفته، وله خاصية التعبد بحرف منه، حتى عجز من نزل بين ظهرانيهم عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة، فهم أهل اللسان العربي على وجه السليقة، ارتضعوها من أفواه آبائهم، وتنفسوها في بيئتهم العربية، فإذا عجزوا عن معارضته، فغيرهم من باب أولى، وهذا يدفعنا إلى مسألة أخرى، وهي أن معجزة أي نبي من جنس ما نبغ فيه قومه، يقول الزرقاني: "هذا الجمال الصوتي، أو النظام التوقيعي، هو أول شيء أحسته الآذان العربية أيام نزول القرآن، ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام، سواء أكان مرسلاً، أم مسجوعاً، حتى خيّل إلى هؤلاء العرب أنّ القرآن شعر"[40].

المطلب الخامس: دعوة القرآن الكريم إلى التدبر:

لقد عني القرآن الكريم بالعقل الإنساني، ودعا إلى حسن إعمال الفكر في فهم الآيات وإدراك دلائل الهداية في الكون والحياة، فكثير ما يشير القرآن إلى العقل في مقام الاستدلال، ولا غرابة في أن العقل حين يتخلص من الهوى يدرك ما يدركه الشرع، وكم هي الآيات التي جاء فيها المدح للذين يتفكرون ويتدبرون، وفي المقابل ذم القرآن الذين لا يستجيبون ويهملون عقولهم ويغفلون عن نعم الله فيهم، وهذا توبيخ لبعض النماذج البشرية التي هي أقسى من الحجارة؛ لأن نفوسهم لم تعمر بأنوار القرآن، كما نبه القرآن أن الشيطان للإنسان بالمرصاد، يريد إضلال الخلق عن أن يكونوا شاكرين، فيتخذ من عباد الله نصيباً مفروضاً، حتى تشملهم اللعنة التي لعن بها، والله تعالى أخبر على لسانه بتعهده اللئيم فقال: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 16]، فهو يقف للإنسان بالمرصاد؛ ليصرفه عن تدبر القرآن الذي هو مصدر الهداية، ويعطل حركة الفكر لديه، والناظر في نصوص الشريعة الإسلامية يلحظ: أن آيات القرآن وسنة الرسول -ﷺ- مليئتان بالدعوة إلى التفكر والتدبر، "ومن أجل الغايات التي يريدها الإسلام من: إيقاظ العقل، واستعمال وظيفته في التأمل والنظر والتفكير هي هداية الإنسان إلى قوانين الحياة، وعلل الوجود وسنن الكون، وحقائق الأشياء؛ لتكون هذه هي المنارات التي تكشف له عن مبدع الكون وخالقه، ولتأخذه برفق إلى هذه الحقيقة الكبرى... وهذه هي إحدى وسائل القرآن الكريم في الدلالة على الله، إنه يوقظ العقل، ويفتح أمامه كتاب الطبيعة؛ ليتعرف منه ما لله من صفات كماله، ونعوت جلاله، ومظاهر عظمته، وأدلة قدسه، وشمول علمه، ونفوذ قدرته، وتفرده بالخلق والإبداع[41].

وبه يعلم أن التدبر والتفكر دعوة قرآنية، وسنة نبوية، وهما مداخل للإقناع، والله تعالى أوجب على عباده أن يتدبروا كتابه، جذباً للقلوب، وجلباً للخواطر، وأن يتأمّلوا معانيه ويمعنوا النظر في آياته، ليكون ذلك حظاً من التعلق بالقرآن والاتصال به، وبين تعالى أن هذا التدبُّر ما هو إلا وسيلة لتكوين العلوم التي ينتفع بها المسلمون، فهو مفتاح العلوم والمعارف، وبه يزداد الإيمان في القلب، ويهدي إلى الطريق الموصلة إلى الله، وكلما ازداد العبد تأملاً في معاني القرآن، ازداد علماً وعملاً، أما اتباع الهوى فهو قاطع عن الوصول للتدبر والفهم، ومع ذلك يظل التفاوت في التدبر مفتوحاً.

وفي المنهج القرآني آيات كثيرة تحثّ المخاطبين على التأمل والتدبر، والنظر الدقيق فيما اشتمل عليه من المعاني المحكمة، وأسرار التكوين والتشريع، والعمل بمقتضى هذا النور الرباني، وهكذا يحرص السياق القرآني على تشويق القارئ، وتنقله من منزلة إلى أخرى، ليوصله إلى ما فيه نفعه، من ثمرات الجزاء، ومقاصد الهداية، ومنازل جديدة، يلتمس من خلالها أسرار الإعجاز القرآني، ودوامه في العطاء، فإذا ما تفاعل معها ونظر فيها بإمعان، واستعمل ما آتاه الله من وسائل، فلا شك أن إيمانه يزداد بذلك، وشوقه ورغبته، وخشيته وخوفه يكونان له كالجناحين للطائر، يقول أبو حامد الغزالي: "كثر الحثّ في كتاب الله تعالى على التّدبّر والاعتبار والنّظر والافتكار، ولا يخفى أنّ الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم"[42]، فلا جرم أن وقع القرآن في النفس يبين أثر روعته التي تأخذ بمجامع القلوب حين تلقى إليها الأسماع.

وجاء الأمر بتدبر القرآن صراحة في أربعة مواضع من القرآن الكريم، وهذه الآيات الآمرة بالتدبر منها ما جاء في شيء مخصوص، ومنها ما جاء مطلقاً بالتدبر العام، يقول أبو بكر بن العربي: "أمر الله تعالى بالنظر في آياته، والاعتبار بمخلوقاته في أعداد كثيرة من آي القرآن، أراد بذلك زيادة في اليقين، وقولاً في الإيمان، وتثبيتاً للقلوب على التوحيد"[43]، ويقول صبحي الصالح: "إن القرآن نفسه يدعو إلى هذا الاجتهاد في تدبر آياته وفقه تعاليه"[44].

ولقد أثنى الله تعالى على من يستعملون عقولهم فيما خلقت له، فيبحثون ويمحّصُون الأمور، ويزنونها بميزان الفكر السليم، ويخلصون للحقائق، ويستجيبون للحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[سورة آل عمران، الآية: 190 – 191]، كما أنك تلحظ أن هذه الآيات تعددت في صيغها ومعانيها بما يطويها من الدعوة إلى التدبر، وقد تنبه إلى هذا المعنى ابن تيمية حين بين ذلك بقوله: "أحوال أهل هذا السماع مذكورة في كتاب الله من وجل القلوب، ودمع العيون، واقشعرار الجلود"[45].

المطلب السادس: الآيات الواردة في التدبر:

1- قوله تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾** [سورة النساء، الآية: 82].

تصدر الآية الكريمة استفهام يراد به حثّ المخاطبين على تدبر القرآن، وفيها تحداهم أن يجدوا تناقضاً في معاني الآيات، أو تبايناً في نظمها، وبين تعالى أن كلامه لو كان من إنشاء البشر لدخله ما في البشر من القصور، وكان أمره لا يخلو من تناقض واختلاف، وهذا شأن كلام البشر، يقول ابن عطية: "لو كان من كلام البشر لدخله ما في كلام البشر من القصور، وظهر فيه التناقض والتنافي الذي لا يمكن جمعه"[46]، ويقول الزمخشري: "فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق إخبار، علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره، عالم"[47].

ومن هنا نفهم أن للقرآن منهجه المتميز في الدعوة إلى التدبر، وله وسائله وطرقه في تقرير تلك المعالم، بل إن التفاعل بالتدبر مطلب نبيل لاتصاله المباشر بالحياة الروحية؛ لما يوفره من استقرار نفسي وطمأنينة في القلب.

2- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية: 83].

تعرض الآية الكريمة حال طائفة من النصارى عند سماعهم القرآن، لما عرفوا من الحق الذي جاءَ في كتابهم عن محمَّد -ﷺ-، وعن دينه.

والمعنى: إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول محمد -ﷺ، ترى أعينهم تمتلئ دمعاً حتى يتدفق من جوانبها لكثرته، تدبراً منهم وخشوعاً، من أجل ما عرفوه من الحق الذي بيّنه لهم القرآن[48]، فالعقل يتدبر والقلب يتأثر، ومن هنا تتساءل النفوس المتدبرة عن دواعي الخطاب في الآية، حيث جاء فيها مجال لنظر المتدبرين بما يتناسب معها مقصدًا وموضوعًا، ودون الشعور بالسآمة والملل، فكان لابد أن يسلك القرآن طرقاً متعددة، وأساليب متباينة تبعاً لتباين النفوس البشرية التي يخاطبها ويعالجها، وبالتالي يكون ذلك مشوقاً للمتدبرين، وداعياً إلى الامتثال لأوامر الخالق، والانتهاء عن ما نهى عنه.

3- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: 204].

يخاطب الله تعالى في الآية عباده بأسلوب الترغيب في الاستماع والإنصات للتلاوة؛ ليقرع قلوب السامعين حتى تكون للأمر المراد تبليغه مكانة في القلوب، وليس هذا لمجرد اللفظ، وإنما لما وراءها من معان تتفاعل معها النفوس، فترتاح بها وتسر، فالإنسان روح وجسد، ولا يمكن أن يحيا بأحدهما دون الآخر.

وفي الآية دلالة على الطريقة الموصلة لنيل الرحمة بالقرآن، والحصانة من نزغ الشيطان، فمن استمع وأنصت كان جديراً بأن يفهم ويتدبر[49].

4- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية: 2].

تعرض الآية بيان حال المؤمنين في ازدياد إيمانهم وتصديقهم عند تلاوة آيات الله، وجاء بيان صفاتهم بصيغة الحصر (إنما)، للتأكيد على اجتماع الخصال المذكورة في شأنهم، ووصفهم تعالى بوجل قلوبهم حين امتلأت خشية لجلاله وعظمته، وفي معنى الآية بين الطبري حال المؤمن حينما يقرع ذكر الله تعالى قلبه، فإن الخشية تحيطه، ويصب الوجل قلبه، وينقاد لأمر الله، وإذا قرئ عليه القرآن صدّق به وأيقن أنه من عند الله[50].

ورب قائل يقول: إذا كان ذكر الله تعالى يدفع قلوب المؤمنين إلى الوجل والخشية منه، ألا يتنافى هذا مع قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد، الآية: 28]، فيُظنُّ أن بين معنى الآيتين تعارضاً؟

ويجاب عن ذلك بأن: الاطمئنان الوارد ذكره في الآية لا ينافي الوجل والخشية منه تعالى؛ لأنه عبارة عن شرح الصدور بنور المعرفة والتوحيد، وهو يجامع الخوف، لأنه ينشأ من مَهابةِ وسطوة صفات الجلال، والاطمئنان إنما يجيء من إشراقات وحنان صفات الجمال، والآيات المتلوة بتدبر تزيد المؤمنين يقيناً في الإيمان، وقوة في الاطمئنان[51]، وقد جمع كلا المعنيين في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الزمر، الآية: 23].

5- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: 124].

يخبر تعالى في الآية عن قول المنافقين بعضهم لبعض إنكاراً واستهزاء بالمؤمنين، ومن عظيم أمر هذه الآية أنها أجابتهم رداً عليهم: أن المؤمنين الموقنين قد زادتهم إيماناً بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها إلى إيمانهم، لأنهم كلما نزل القرآن ازدادوا إيماناً وعملوا بما فيه، وهم يفرحون بنزوله وبما أعطاهم الله من الإيمان واليقين، ويتلذذون بتدبر معانيه مع هذه الزيادة، إذ لابد عند نزول الآيات من أنهم يقرءونها ويعترفون بأنها حق من عند الله[52].

6- قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية: 58].

بعد أن أثنى الله تعالى على من ذكر من أنبيائه بما يخصه، جمعهم في آخرها بالضمير العائد عليهم، ووصفهم بأنهم مع نعم الله عليهم قد بلغوا الحد الذي عند تلاوة آياته يخرون سجداً وبكياً، والمعنى: إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله، خروا سجداً، استكانة وتذللاً لله، وحمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة، وهم باكون خشية منه وحذراً من عقابه[53]، ومن هنا دلت الآية أن هؤلاء الزمرة هم أكثر عباد الله تدبراً لآياته، وتأثراً بنور المعرفة والتوحيد، وانقياداً لتنفيذها والعمل بمقتضاها، فلا جرم أن يقتدى بهم في هديهم وعلى طريقتهم، ويقتفى أثرهم وأثر خاتمهم الذي بلغ أخبارهم.

7- قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: 68].

صدر الآية استفهام غرضه التوبيخ والتقريع، ويفهم من عمومها الحضّ على تدبر القرآن الذي جاء وصفه بـ(القول)، وقد سجلت على المخاطبين: أن قلوبهم في غفلة عن هدى القرآن، وجاء التوبيخ والإنكار صريحين في عدم تدبرهم لما يتلى عليهم من القرآن وإعراضهم عنه، وأن النبوّة ليست ببدع فينكرونها، فما كان استمرار عنادهم إلا لأنهم لم يدبروا القول، ولو تدبروا معاني القرآن لظهر لهم صدقه وآمنوا به وبما فيه، والمعنى: أفلم يتدبروا ويتفكروا في القرآن الذي جاء به نبيهم، وهو يخاطبهم بلغتهم ولهجتهم، فيعرفوا ما فيه من الدلالات والعبر، وأنه الحق المبين، وأنه معجز بلفظه ودليل علي صدق الرسالة، فيصدقوا به وبمن جاء به، أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم، فلذلك أنكروه واستبدعوه[54].

8- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: 73].

دلت الآية بمنطوقها: أن من صفات عباد الرحمن إذا قرئ عليهم القرآن أو وعظوا بآياته المنطوية على المواعظ والعبر، لم يقعدوا على حالهم الأولى، بل قابلوها بالتفكير والتأمل، واستعمال النظر، فيقودهم ذلك إلى الامتثال والعمل بها، بحيث إن حالهم عند سماع القرآن كحال الذي يخر إلى الأرض بسبب الانتفاع بالمسموع من الآيات، يقول ابن العربي: "قال علماؤنا: يعني الذين إذا قرءوا القرآن قرءوه بقلوبهم قراءة فهم وتثبت، ولم ينثروه نثر الدقل؛ فإن المرور عليه بغير فهم ولا تثبت صمم وعمى عن معاينه وعيده ووعده"[55].

ولما مدحت الآية المقبلين على هذا السماع، أعقبت بذمّ المعرضين عنها، فدلت بمفهومها: أن الكفرة المخالفين للصفات المذكورة، إذا سمعوا الآيات لم

يتأثروا بها، بل يستمرون على جهلهم وضلالهم، كأنهم لم يسمعوها أصلاً، يقول ابن تيمية: "لابد من السمع والبصر لما في آياته من النور والهدي والبيان"[56].

وتنوع المخاطبين يقتضي تنوع الخطاب، والملاحظ أن معظم المواعظ القرآنية تدور حول تربية الإنسان في العقيدة والسلوك، وتخاطب الوجدان، وتحرك القلوب حتى ترق وتلين، والمؤمن الحق لا يرى واعظاً أكثر من القرآن، فيزداد به إيمانًا، ويطمئن به قلبه، فهو شفاء للقلوب المريضة، وهادٍ إلى صراط مستقيم.

9- قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص، الآية: 29].

أنزل الله تعالى القرآن لحكم سامية، ووصفه في هذه الآية بأنه كتاب مبارك، وأن من مقاصد إنزاله أن يتدبره الناس ويتفكروا فيه لينالوا محبته تعالى والقرب منه والفوز برضاه، يقول الشوكاني: "في الآية دليل على أن الله سبحانه إنما أنزل القرآن للتدبر والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر"[57]، ويقول ابن القيم: "أنزل الله القرآن ليتدبر ويتفكر فيه ويعمل به لا لمجرد تلاوته مع الإعراض عنه"[58].

10- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد، الآية: 24].

يفهم من معنى الآية الأمر بتدبر القرآن وتفهمه، وبين تعالى أن قلوب هؤلاء المخاطبين مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر، ولا تنفتح لخير، فلا يكاد يصل إليها ذكر، ولا ينكشف لها أمر، ولا يتحرك فيها تأمل أو فكر.

والمعنى: أفلا يتدبرون مواعظ الله في القرآن، ويتفكرون في حججه التي بينها لهم، أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر[70]، ومن المعلوم أن كل من لم يتدبر ويفهم معانيه، فإنه معرض عنه، يستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في الآية إن كان الله أعطاه فهما يقدر به على التدبر[60].

11- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الزمر، الآية: 23].

تبين الآية الكريمة موقف من وصل بهم إيمانهم إلى خشية الله تعالى، وهي تعرض حالهم وهم يتدبرون القرآن بارتعاد جلودهم واقشعرارها من شدة الرهبة والخوف، ثم ترق قلوبهم وتلين إذا تليت عليهم آيات القرآن، وبالتالي يكون ذلك مرغباً للعمل بما فيه، يقول الطبري: "يعني إلى العمل بما في كتاب الله والتصديق به"[61]، واقتضت هذه الآية أن القرآن يشتمل على معان تقشعر منها الجلود، وهي المعاني الموسومة بالجزالة التي تثير في النفوس روعة وجلالة ورهبة تبعث على امتثال السامعين له وعملهم بما يتلقونه من قوارع القرآن وزواجره، وكنى عن ذلك بحالة تقارن انفعال الخشية والرهبة والخوف في النفس، لأن الإنسان إذا رهب اقشعر جلده من أثر ذلك الانفعال الرهبي[62]، يقول ابن عطية: "هي عبارة عن قف شعر الإنسان عندما يداخله خوف، ولين قلبه عند سماع موعظة أو زجر قرآن ونحوه"[63].

12- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [سورة الحديد، الآية: 16].

يعاتب تعالى في الآية عباده المؤمنون استنهاضاً للهمم وإيقاظاً لها بعد أن فترت عن القيام بما ندبوا له من الخشوع.

والمعنى: ألم يحن الوقت للذين آمنوا أن يتمكن الإيمان في نفوسهم، فتلين قلوبهم وترق من قسوتها، وتسارع إلى طاعة الله تعالى بالامتثال لأوامره والانتهاء عما نهى عنه، وتخشع لما نزل من القرآن لما فيه من الذكر والمواعظ فتفهمه وتنقاد له عند سماعه[64].

المبحث الثاني: أوجه التدبّر في القرآن الكريم:

وردت ألفاظ في القرآن الكريم تحمل في معانيها أوجهاً ودلالات لأخرى، وتعد هذه الألفاظ وجوهاً ونظائر للمعاني المراد كشفها، ووجود هذه المسائل في اللغة يدل على سعة أساليبها وأسرارها الباهرة، ويؤكد الفاضل بن عاشور علاقة هذه الدلالات بهذه المعاني فيقول: "إن دلالات القرآن الأصلية التي هي واضحة بوضوح ما يقتضيه من الألفاظ والتراكيب، تتبعها معان تكون دلالة التراكيب عليها محل إجمال أو محل إبهام، إذ يكون التركيب صالحاً على الترديد لمعان متباينة يتصور فيها معناه الأصلي، ولا يتبين المراد منها؛ كأن يقع التعبير عن ذات بإحدى صفاتها، أو يكنى عن حقيقة بإحدى خواصها، أو أحد لوازمها على الطرائق البيانية المعهودة في اللغة العربية"[65].

والمتتبع هذه المسائل في القرآن يجد ورود بعض المعاني بألفاظ متعددة يحددها السياق، وقد يرد اللفظ الواحد بمعان متعددة، وليس هذا من قبيل الترادف، وإنما هو تعبير عن الشيء الواحد، أو المعنى الواحد، بألفاظ مختلفة، ولكل منها دلالته الخاصة؛ فالقرآن مثلاً قد يعبر عنه بلفظ (القرآن)، وقد يعبر عنه بلفظ (الكتاب)، وقد يعبر عنه بلفظ (الذكر)[66].

وفي مبحث التدبر جاءت أوجه أخرى في القرآن الكريم لهذا المفهوم، نستهل الحديث بداية بعرضها، ومن ثم مناقشة أقوال العلماء التي وردت في شأنها، حيث قرر بعض العلماء من أصحاب الأنفاس في هذا المجال: أنّ التّدبر جاء في القرآن الكريم على أوجه، ويقرب من معنى التدبر أوجه تحمل معنى هذا المصطلح، حيث وردت هذه المعاني في مواطن عدة من القرآن الكريم، ومن هذه المعاني: التأمّل، والتفكّر، والتذكّر، والنظر، والاعتبار، والاستبصار.

وغني عن البيان الإشارة إلى دعوة في القرآن الكريم للإنسان بالنظر والتفكر والاعتبار والضرب في الأرض، والبحث في ميادين النفس والمجتمع، والتاريخ، والطبيعة، وما ورد فيه من مادة العقل والنظر في عشرات المواضع، وفي شتى السياقات والمجالات[67]، والله تعالى ينبه المسلم دائماً لأن يستقبل الأمور بعقله وبفكره وبتدبره وبتذكره، لأنه سبحانه يعلم أن الإنسان إذا فكر أو عقل أو تذكر فسوف ينتهي به هذا التدبر إلى الوقوف على تلك الظواهر الكونية، ومن عادة القرآن الكريم في هذا المجال أنه يستخدم لفظ: (يتفكرون)، و(يعقلون)، و(يتدبرون)، و(يتذكرون)، والمراد أنهم لو فكروا، ولو عقلوا، ولو تدبروا، ولو تذكروا؛ لانتهوا إلى الحقيقة التي يريدها الله[68].

ويظهر أن هذه الألفاظ مترادفة ذات معنى واحد، ويشير أبو حامد الغزالي إلى أن هذه الأوجه، - وذكر منها: التدبر، والتأمل، والتفكر- كلها عبارات مترادفة على معنى واحد، وأما التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني، وإن كان أصل المسمى واحد[69]، بيد أنه إذا تم الكشف عنها بالرجوع إلى معاجم اللغة، فإنك تجد بينها فروقاً دقيقة، فالتدبر مثلاً معناه تصرف القلب بالنظر في عواقب الأمور، بينما معنى التفكر: تصرف القلب بالنظر في الدلائل[70]، يقول الشعراوي: "هناك شيء اسمه التدبر، وشيء اسمه التفكر، وثالث اسمه التذكر، ورابع اسمه العلم، وخامس اسمه التعقل، ووردت كل هذه الأساليب في القرآن"[71]، ويبين ابن القيم أن هذه الأوجه معان متقاربة تجتمع تارة وتتفرق أخرى[72].

المطلب الأول: التأمّل:

التأمل لغة: مصدر تأمّل، مأخوذ من مادة (أمل)، ومعناه: التّثبّت في النظر واستعمال الفكر، ويطلق الأمل ويراد به: الرّجاء، تقول: أمّلته أؤمّله تأميلاً، وأملته آمله أملاً[73]، يقول ابن منظور: التأمل: التثبت، يقال: تأملت الشيء: أي نظرت إليه مستثبتاً له، وتأمل الرجل: تثبت في الأمر والنظر[74]، "والتأمل هو النظر المؤمل به معرفة ما يطلب، ولا يكون إلا في طول مدة، فكل تأمل نظر، وليس كل نظر تأملاً"[75].

واصطلاحا: "أن ينظر أولاً في مفهوم اللفظ، ثم يتأمّل في استخراج المراد"[76].

ولفظ التأمل لم يرد صراحة في القرآن الكريم، ولكن أشارت إليه عديد من الآيات التي تأمر بالنظر في خلق الله والتّثبّت في رؤية عجائب الكون وآثار السابقين.

المطلب الثاني: الاعتبار:

الاعتبار لغة: مصدر اعتبر، مأخوذ من مادّة (عبر) الّتي تدلّ على النفوذ والمضيّ في الشّيء، يقال: عبرت النهر عبوراً: قطعته إلى الجانب الآخر.

أمّا الاعتبار والعبرة فهما عند ابن فارس مقيسان من عبري النّهر (أي شاطئيه)، لأنّ كلّ واحد منهما مساو لصاحبه[77]، والاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من شيء إلى شيء، ولهذا سميت العبرة عبرة والمعبر معبراً واللفظ عبارة[78].

وفي الاصطلاح: قال المفسرون: "الاعتبار: هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها"[79]، وعرف المناوي الاعتبار بأنه: "الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهدة إلى غيره ... وبمعنى الاعتداد بالشيء في ترتيب الحكم"[80]، وعرفه الجرجاني بأنه: "النظر في الحكم الثابت أنه لأي معنى ثبت، وإلحاق نظيره به وهذا عين القياس"[81].

ومن هنا نفهم أن الاعتبار: "حالة نفسية توصل الإنسان إلى معرفة المغزى والمآل لأمر ما، يشاهده الإنسان ويتبصر فيه، ويقوم باستقرائه وموازنته ومقايسته، ومحاكمته محاكمة عقلية، فيصل إلى نتيجة مؤثرة يخشع لها قلبه، فيدفعه ذلك إلى سلوك فكري واجتماعي مناسب، والغاية التربوية من العبرة في القرآن العظيم الوصول بالسامع إلى قناعة فكرية بأمر من أمور العقيدة، تحرك في القلب أو تربي عواطف ربانية كما تغرس، وتثبت وتنمي عقيدة التوحيد، والخضوع لشرع الله والانقياد لأوامره"[82]، عن عطاء قال: «إنما القرآن عبر، إنما القرآن عبر»[83]، **ومن الآيات الواردة في الاعتبار** قوله تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾**، [سورة يوسف، الآية: 111]، وقوله تعالى: **﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾** [سورة النحل، الآية: 66].

المطلب الثالث: التفكّر:

التفكر لغة: مأخوذ من الفعل (فكر)، وأصل المادة يدل على تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، يقال تفكّر إذا ردد قلبه معتبراً، ورجل فكير: كثير الفكر[84]، يقول الجوهريّ: "التفكر: التأمل، والاسم الفكر والفكرة، والمصدر الفكر بالفتح"[85]، وهناك تفاوت بين التفكر والتدبر؛ فالتفكر يكون بصرف القلب بالنظر في الدليل، أما التدبر فيكزن بصرفه بالنظر في عواقب الأمور[86].

واصطلاحا: التفكر: تصرّف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب، والتفكر: سراج القلب يرى به منافعه ومضاره، وكل قلب لا تفكر فيه فهو في ظلمات يتخبط، وقيل: هو إحضار ما في القلب من معرفة الأشياء، وقيل: تصفية القلب بموارد الفوائد[87]، ويعرفه ابن عاشور بأنه: "إعمال الفكر، أي الخاطر العقلي للاستفادة منه، وهو التأمل في الدلالة العقلية"[88]، ويعرفه الشعراوي بأنه: "عمل العقل في المقارنات بين البديلات المتنوعة لِيُرَجّح بدلاً على بديل فتُعقلَ به القضايا"[89]، **ومن الآيات الواردة في التفكّر** قوله تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**، [سورة النحل، الآية: 44]، وقوله تعالى: **﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [سورة الحشر، الآية: 21].

المطلب الرابع: التذكّر:

التذكر لغة: مصدر تذكّر على وزن تفعّل، وضده النسيان، قال تعالى: **﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾**، [سورة الكهف، الآية: 63]، واختير له بناء التفعل لحصوله بعد مهلة وتدرج، كالتفهم والتعلم، والمعنى: طلب ذكر ما نُسي واستحضار المتذكر الماضي باختزان المعلومات في الذهن بحيث لا تغيب عنه[90]، يقول الطاهر بن عاشور: "التذكر مشتق من مادة الذكر التي هي في الأصل جريان اللفظ على اللسان، ويعبر بها أيضاً عن خطور المعلوم في الذهن بعد سهوه وغيبته عنه كان مشعراً بأنه حركة الذهن في معلومات متقررة فيه من قبل"[91].

والتذكر اصطلاحاً: "محاولة النفس استرجاع ما زال من المعلومات"[92]، "وهو أن الصورة المحفوظة إذا زالت عن القوة العاقلة فإذا حاول الذهن استرجاعها فتلك المحاولة هي التذكر"[93]، والمعنى: "أن يتنبه الإنسان إلى شيء كان قد علمه من قبل ثم غفل عنه"[94].

ووردت مادة التّذكّر في مواضع عديدة من القرآن، اقترن بعضها بالاستفهام الإنكاريّ كما في قوله تعالى: **﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾** [سورة النحل، الآية: 17]، واقترن بعضها بلفظ (لعلّ) الّتي تفيد الحثّ على التّذكر كقوله تعالى: **﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** [سورة الأنعام، الآية: 152]، وجاءت آيات أخرى مادحة للمتذكّرين، وواصفة إياهم بالإنابة، كقوله تعالى: **﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾** [سورة غافر، الآية: 13]، أو أنهم أولو الألباب، كقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾** [سورة الزمر، الآية: 9].

المبحث الثالث: تصاريف التدبر في القرآن الكريم:

صرف الله تعالى آيات القرآن لمقاصد عظيمة وحكم سامية، وكان أغلب ما أرشدت إليه هذه الآيات هو أعمال الفكر والفهم في تدبر الآيات وربطها بالكون والأنفس، والتّدبر في عجائب صنع الله تعالى، والمتدبر في سياقات القرآن الكريم يجد شواهد قائمة لعالم الغيب في أنفسنا، وحقائق كونية غابت عن عقول البشر، ومنها ضرب الأمثال للتذكر والعظة، والتّأمل في خلق الإنسان، ومنها التّأمّل في إحياء الله الأرض بعد موتها، ومنها التّأمّل في آثار الأمم السّابقة، وقد كان تأمّل ذلك حريّا بأن يردّ المتدبرين إلى جادة الصّواب ويحملهم على التّصديق بالوحدانيّة والإيمان بالبعث، ويؤكد ذلك ابن القيم فيقول: "هذا كثير في القرآن يدعو العبد الى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره... وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه"[95]، وتُطلَق آيات القرآن على معانٍ ثلاثة: إمّا آيات كونية تُلفِت النظر إلى قدرة الله تعالى، وإمّا آيات معجزات جاءت لتأييد الرسل وإثبات صِدْقهم في البلاغ عن ربهم، وإمّا آيات حاملة الأحكام، وهي تأتي للتذكير وتنبيه الغافلين[96].

ونبَّه تعالى في مواضع من القرآن الكريم إلى أن آياته المتلوة والمشاهدة، وآياته في آلائه ونعمه لا ينتفع بها إلا أولو العقول والألباب والتفكير الصحيح، فهو تعالى يدعو عباده إلى التعرّف عليه وعلى أسمائه وصفاته وآثارها عن طريقين: بالنظر في آيات الله المشاهدة في الآفاق والأنفس، وما فيها من الحكمة والإتقان، أو بالنظر في آياته المتلوة في كتابه، ومن العلماء من أدرك هذه الحقيقة؛ كابن القيم الذي أشار في بيان هذا الأمر أن الطريق الأول: النظر في مفعولاته، وهو كثير في القرآن، والثاني التفكر في آياته وتدبرها، فتلك آياته المشهودة، وهذه آياته المسموعة المعقولة[97].

والأمر بالتدبر في كتاب الله يأتي بتصاريف متنوعة من خلال الآيات المتلوة، أو آلاء الله، أو سير الأنبياء مع أقوامهم، أو التأمّل في نعم الله وعجائب مخلوقاته؛ كالتأمل في خلق السماوات والأرض، أو فيما تنبت الأرض، أو التأمّل في خلق الإنسان، أو التأمّل في أحوال الطير، أو النظر في بديع صنع الله في السماء والشمس والقمر والليل والنهار، وفي الأرض والجبال والبحار والنبات والرياح والأمطار، يقول ابن كثير: "يرشد تعالى عباده إلى التفكر في آلائه وما خلق الله في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، مما في السموات من كواكب نيرات، ثوابت وسيارات، والشمس والقمر والليل والنهار واختلافهما وإيلاج أحدهما في الآخر حتى يطول هذا ويقصر هذا، ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السماء واتساعها وحسنها وزينتها وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير وصنوف النبات، وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب، وما في البحر من العجائب والأمواج"[98]، ويشير أبو حامد الغزالي إلى اشتمال القرآن على هذه المعالم التي تظهر لمن تدبرها بالحسّ فيقول: "القرآن يشتمل على الجليّ منها الواقع في عالم الشهادة، كذِكْر السماوات والكواكب، والأرض والجبال، والشجر والحيوان، والبحار والنبات، وإنزال الماء الفُرات، وسائر أسباب النبات والحياة، وهي التي ظهرت للحِسّ"[99]، وهنا نأتي على عرض تصارف آيات التدبر حسب أغراضها ومقاصدها في القرآن الكريم:

المطلب الأول: التدبّر في أحوال الأمم السابقة:

لقد عني القرآن الكريم بأنباء السابقين أيما عناية، وكان لإيراد القصص القرآني حكماً ودروساً لتربية الأفراد والمجتمعات، وبياناً لسنن الله تعالى في خلقه، يستنير بها أصحاب العقول، وليس هذا القرآن حديثاً يفتريه بشر على الله، وليس الغرضُ من قصصه التاريخ ولا استقراء الوقائع، وإنما هو وحي يؤكد صدق ما سبق من الكتب المنزلة ومن جاء بها من الرسل، وهدى لمن تدبّره وأمعنَ النظرَ فيه، وبه يعلم أن المقصود من ذكر هذه القصص حصول الاعتبار ومعرفة الحكمة والقدرة الإلهية.

1- قوله تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[سورة الأعراف، الآية: 176].

هذا المقطع من الآية تذييل للقصة الممثل بها، وهو في العموم يشملها وغيرها من القصص التي في القرآن، وفيها الإشارة إلى تعظيم شأن التفكّر وأنه مبدأ العلم والسبيل للوصول إلى الحق، ومن ثم حثّ الله عليه في مواضع كثيرة من كتابه، فبقدر التفكّر في آيات الله تعالى وسننه وحكمه في البشر وسائر المخلوقات، يكون ارتقاء الناس في العلوم والأعمال[100]، والمعنى: فاقصص قصص المكذبين عن عناد واستكبار من أخبار القرون الماضية، وما نزل بهم حين كذبوا رسلَنا، ليتفكر قومك في ذلك، فيعتبروا بما في القصص من عبر ومواعظ، وينيبوا إلى طاعتنا، لئلا يحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم، فيكون ذلك عبرة لهم ورادعاً عن التكذيب[101].

2- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة يوسف، الآية: 111].

جاءت هذه الآية خاتمة لتفاصيل قصة يوسف -عليه السلام-، وفيها التنبيه على التأمل والتفكر لذوي العقول، فالذي قدر على إعزاز يوسف وإعلائه بعد سجنه، وتمليكه مصر، قادر على إعزاز محمد -ﷺ- وإعلاء كلمته، وجاء في أول السورة التنبيه على أنها أحسن القصص، وهذا التنبيه إنما كان بسبب أنه يحصل منها العبرة ومعرفة الحكمة والقدرة تنبيه على أن حسن هذه القصة، إنما هو لأجل حصول العبرة منها، ومعرفة الحكمة والقدرة[102].

المطلب الثاني: التدبر بضرب الأمثال:

يعد ضرب الأمثال من أكثر الأمور تذكيراً ووعظاً، لما يحويه من معان حسنة، ودلائل متضمنة للحكمة، ولما في المثل من زيادة إفهام وتصوير الشيء وتقريبه في الأذهان، ويؤكد الفخر الرازي ذلك فيقول: "إن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني"[103].

والله تعالى ضرب للناس في القرآن من كل مثل، وندبهم إلى التفكر والتذكر، ويذكر القرطبي: أن الله تعالى وجه القول في القرآن بكل مثل يجب به الاعتبار، من الآيات والعبر، والترغيب والترهيب، والأوامر والنواهي، وأقاصيص الأولين، والجنة والنار، وأهوال القيامة[104]، هذا وقد تعدَّدت أغراض المثل في القرآن الكريم، فجاءت متعددة المقاصد مختلفة المضامين، كضرب الأمثال في الآلهة المعبودة التي لا تسطيع أن تخلق ذبابة أو أن تدفعها عنها أو أن تسترد ما سلبتها، أو ضرب المثل ببيت العنكبوت الذي هو أضعف البيوت، أو الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة، وغيرها من هذه الأمثال، والمتدبر في هذه التصاريف يلحظ أنها تمثل حال أمر بحال أمر آخر، أو تصور المعاني بصورة الأشخاص، أو يأتي التصريح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه، يقول الطاهر بن عاشور: "خصت أمثال القرآن بالذكر من بين مزايا القرآن؛ لأجل لفت بصائرهم للتدبر في ناحية عظيمة من نواحي إعجازه، وهي بلاغة أمثاله، فإن بلغاءهم كانوا يتنافسون في جودة الأمثال وإصابتها المحز من تشبيه الحالة بالحالة"[105]، ومن هذه الآيات ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 89].

2- قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: 25].

المطلب الثالث: التأمّل في خلق السماوات والأرض:

أزاح القرآن الكريم عن كاهل العقل الإنساني كل ما يعوقه عن الملاحظة والتفكر، وأوضح في آيات كثيرة: أن الكون خاضع لسنن كونية ثابتة، وأنه يتصف بالحركة والانتظام، وأصول في الدوران كل يسبح في فلك مضبط، فوق ما جاء فيه من وصف للسماوات وما فيها من معالم، والأرض وما فيها من طبقات، وقد جاء التعبير عنها آخذاً بيد العقل الإنساني نحو تفهم خطواتها ومراحل تكوينها وعملها، فكل ما في السموات وما في الأرض مسخّر للإنسان، وهنا نعرض جملة من الآيات التي تحمل هذه المعالم:

1- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ

الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 164].

ذكرت الآية الكريمة ثمانية أنواع من الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى إثباتا لما ورد في الآية قبلها، وبالتالي جاء التنبيه على الأدلة والحجج لذوي العقول والتمييز الذين ينظرون بأبصارهم ويتفكرون بعقولهم دون غيرهم، فهم المكلفون بالطاعة والعبادة، والمخصوصون بالأمر والنهي[106]، يقول الفخر الرازي: "خص الآيات بهم لأنهم الذين يتمكنون من النظر فيه، والاستدلال به على ما يلزمهم من توحيد ربهم وعدله وحكمه ليقوموا بشكره، وما يلزم عبادته وطاعته"[107]، ويصف صاحب المنار العقلاء الذين ذيلت بهم الآية فيقول: "هم الذين ينظرون في أسبابها، ويدركون حكمها وأسرارها، ويميزون بين منافعها ومضارها، ويستدلون بما فيها من الإتقان والإحكام"[108].

2- قوله تعالى: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾** [سورة آل عمران، الآية: 190].

في هذه الآية أدلة كونية واضحة، وبراهين بينة لأصحاب العقول المدركة على وحدانية الله، وأول هذه الأدلة: أنه -سبحانه- أبدع السموات والأرض متناسقة على غير مثال سبق، ففي السماوات من الآيات الظاهرة من نجوم وأجرام ما يدل على صانعها، وكذلك الأرض في ظهور ثمارها، وإرساء جبالها، وفي اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما بنظام دقيق[109]، يقول الفخر الرازي: "إن المقصود من هذا الكتاب الكريم جذب القلوب والأرواح عن الاشتغال بالخلق إلى الاستغراق في معرفة الحق، فلما طال الكلام في تقرير الأحكام والجواب عن شبهات المبطلين، عاد إلى إنارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والإلهية والكبرياء والجلال"[110]، ومجرد التدبر في معاني هذه الآية يكفي العاقل، ويوصله إلى الإيمان الخالص الذي لا تزلزله الشبهات[111].

3- قوله تعالى: **﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [سورة يونس، الآية: 101].

صدرت الآية بالأمر للنبي -ﷺ- أن يحث قومه على التفكر والتدبر بالنظر والاستدلال في أحوال السماوات والأرض وما فيهما من الآيات والعبر التي تدل على وحدانيته تعالى، والمعنى: قل أيها الرسول لقومك الذين تحرص على هدايتهم: انظروا بعيون أبصاركم وبصائركم ماذا في السماوات والأرض من آيات الله البينات، والنظام العجيب في شمسها وقمرها، وكواكبها ونجومها، وليلها ونهارها، وسحابها ومطرها، ففي كل هذه الأشياء التي تبصرون آيات كثيرة تدل على خالقها وحكمته، ثم انظروا ماذا في أنفسكم منها[112].

4- قوله تعالى: **﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** [سورة الرعد، الآية: 4].

ختمت الآية السابقة بأن أكثر الناس لا يؤمنون، ثم أعقبت هذه الآية البراهين على التوحيد والمعاد مستدلة على قدرة الله تعالى فيما أبدعه من أحوال الأرض واختلاف منابت قطعها وثمارها، وهي متقاربة في الخلقة مختلفة في الطعم واللون، مع أن اترابها واحد، وماؤها واحد، يقول ابن عطية: "موضع العبرة في هذا أبين؛ لأنها مع اتفاقها في التربة والماء، تفضل القدرة والإرادة بعض أكلها على بعض"[113]، ويقول ابن الجوزي: "في هذا دليل على بطلان قول الطبائعيين، لأنه لو كان حدوث الثمر من طبع الأرض، والهواء، والماء، وجب أن يتفق ما يحدث لاتفاق ما أوجب الحدوث، فلما وقع الاختلاف، دل على مدبر قادر"[114].

ثم ذيلت الآية بقوله: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ): فهذا التنوع والتَّعدُّد لعلامات وشواهد ظاهرة يدركها من يستعملون عقولهم في التدبر والتفكر أن من ورائها قدرة خالق أحسن كل شيءٍ خلقه.

5- قوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾** [سورة الإسراء، الآية: 99].

بعد أن أثبت تعالى أن البعث أمر ممكن الوجود في نفسه، نبه في هذه الآية على قدرته العظيمة التي غفلوا عنها ولم يتفكروا في آثارها، وبين أن لإعادتهم وقيامهم من قبورهم أجلاً ومدة مقدرة لا بد من انقضائها، فهم قد علموا بالبرهان العقلي أن الله قادر على إعادتهم، وقد جعل تعالى لبعثهم وإعادتهم ميقاتًا محدودًا عنده لا يعلمه إلا هو، فالقيامة التي كذَّبوا بها وأنكروها واقعة لا شكّ فيها، فضلاً عن إنكارها، لكن هؤُلاء المشركين أصروا على إنكار البعث مع قيام الحجة عليهم، جحوداً وتماديا في ضلالهم[115].

6- قوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾** [سورة الأنبياء، الآية: 30].

بعد أن ذكرت الآيات السابقة قول المشركين الذين قالوا اتخذ الله ولداً من الملائكة وطالبتهم بالدليل على صدق ما يدّعون، أشارت هذه الآية إلى تقصيرهم في التفكر والتدبر في الآيات الكونية الدالة على قدرة الله تعالى، والجدير بالذكر أن هذه الآية تقرر معانى علمية، أيدتها نظريات حديثة في تكوين الكواكب والأَرض؛ وهى أَن السماوات والأَرض كانتا في الأَصل متصلاً بعضها ببعض على شكل كتلة مشكلة من مادة واحدة ثم انفصلتا، يقول ابن كثير في تفسيرها: "كان الجميع ملتحماً متصلاً بعضه ببعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه، فجعل السموات سبعاً، والأرض سبعاً، وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء وأنبتت الأرض"[116].

وهو ما يؤكده علماء الفلك حديثاً، إذ يثبتون أن الشمس كانت كرة نارية دائرة حول نفسها، وفى أثناء سيرها السريع انفصلت منها الأرض وأخواتها الكواكب السيارة، نتيجة انفجارات شديدة حدثت، وتم الانفتاق المذكور في الآية بعد أن كانتا متصلتين بعضها ببعض، وما زالت الأرض دائرة حول نفسها وحول الشمس على نظام خاص بحكم الجاذبية[117].

وتبقى هذه المعالم التي نتدبرها في هذه الآية هي مجال أبحاث كبار المختصين.

هذا وقد اجتهد علماء الفلك في وضع نظريات متعددة لكيفية حدوث هذا الانفصال، وعلى وجه الخصوص استطاع علماء الجيولوجيا أن يعطوا تاريخاً مطلقاً لبدء وجود الأرض بكيانها المستقل عن بقية الأجرام السماوية، وقدروا أنه كان منذ حوالي أربعة آلاف وخمسمائة مليون عام من أعوامنا المعروفة[118].

وكان من أثر ذلك ذهول الجيولوجي الألماني؛ وهو البروفيسور (الفريد كرومر) عندما سمع هذه الآية قائلاً: يستحيل أن يتصور إنسان في زمن محمد أو ما بعده بقرون لا يعرف الطبيعة الذرية في تركيب المواد أن ماء الأرض كان متحداً مع نار الشمس، غير ممكن!! نعم لا يمكن.. وكيف يمكن أن يتخيل إنسان هذا إلاَّ إذا علم أن الماء أصلاً والنار كلها جميعاً ترجع إلى مادة واحدة،

ويمكن أن تكون شيئاً واحداً متصلاً، ولذلك لا يمكن أن يكون هذا الكلام منسوباً إلى محمد صلى الله عليه وسلم إلاّ بوحي من أعلى.

7- قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [سورة سبأ، الآية: 9].

تضمنت الآية خطاباً للمشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة، وفيها توبيخ لهم على عدم التفكر والتدبر في خلق السماء والأرض مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد، والمراد حثهم على التأمل والتدبر ليتداركوا علمهم بما أهملوه، لأن التأمل والنظر في مخلوقات الله في السماء والأرض من شأنها أن تهديهم لو تأملوا حق التأمل، يقول ابن كثير: "إن في النظر إلى خلق السموات والأرض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجاع إلى الله، على قدرة الله تعالى على بعث الأجساد ووقوع المعاد، لأن من قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها، وأطوالها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام"[119]، وخص المنيب بالذكر لأنه المنتفع بالتفكير في حجج الله وآياته[120].

وهكذا يحرص السياق القرآني على عرض هذه التصاريف التي تبين عجائب قدرة الله تعالى وبدائع حكمته، وتصور لنا إعجاز تعبير أسلوبه، ودقته المتناهية التي لا يستطيع أن يصل إلى مستواها البشر، ويقتضي العصر الراهن أن نوظف معالم التدبر لآيات القرآن، فما كتاب أشار إلى أسرار هذه المعارف مثل القرآن؛ لأنه ينبئ بأخبار الغيب، ويقدم مراد الله- تعالى- من كلامه، فيتوصل بفهمه إلى منزله، ويؤنس به في الطريق إلى معرفته، كما أن القرآن في تنقلاته لموضوعات مختلفة يجعل المتدبر يتذوق معانيه، ويسبح في معالم بيناته وأنواره، مما يجعله لا يشهر بالسآمة، أو القلق، أو النفور، بسبب المعاني التي تتجدد لقلب المتدبر وترد على خاطره، وكلما أعاد ظهر له الجديد والمفيد.

المبحث الرابع: كيفية التدبر والوصول إليه:

يعد تدبر القرآن خير زاد للتّقوى، فهو قيمة عقليّة كبرى، تجنب صاحبها الذّنوب وتحثّه على الإنابة، وتشوقه إلى تكرار التلاوة، فللإكثار من التلاوة مع تدبرها يجري فيه سر التأثر، وأكبر الأثر في فهم المعاني واستحضارها، ولا شك أن حلاوة التدبر في تلاوة القرآن تحرك المشاعر والقلوب لما يتجدد من المعاني، وتوصل المتدبر إلى مرتبة الإثارة الوجدانية والمحاكاة العقلية، يقول الخازن: "تدبر القرآن لا يكون إلا مع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته"[121]، ويقول صاحب الظلال: "تدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الضمير، وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير"[122].

وصفة ذلك أن يخلص القارئ النية ابتغاء وجه الله تعالى ابتداء، وأن يكون قصده وجه الله تعالى، والرغبة في الأجر والثواب، حتى ينتفع بتدبره في دنياه وأخراه، فكم هي الأحاديث المحذرة من أن يبتغى بالقرآن غير وجه منزله، هذا بالإضافة أن يتجرد القارئ ويفرغ فكره - عند تدبره - عن كل دخيل يشوش عليه، ويكون حاضر العقل، ولا يشغل قلبه إلا بالتفكر في معنى ما يقرأ، ويتصور في ذهنه توجه الخطاب له مباشرة، ويستشعر ما يوازي حالته، ويتجاوب مع أسئلة القرآن بالخصوص، ويقر بستر الله تعالى عليه، وبعجزه عن القيام بما أمره به من حسن طاعته، فحين تصادف الحال ما يناسبها، فإنه يتفاعل معها بمشاعره وعواطفه، فإن كان مما قصر فيه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإن كان مما وفق للعمل به شكر، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، وإذا مر بآية عذاب أشفق وتعوذ، يقول السيوطي: "صفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نزه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب"[123].

ومما هو معروف: أنه لا يمكن التفرغ للتدبر بشكل كلي، فقد كثرت مشاغل الحياة في العصر الراهن، لا سيما الكد على العيال لتوفيرِ لقمة العيش، هذا إن عددنا علاقاتنا الاجتماعية، وإنما يكون التفرغ بشكل نسبي، وعلى القارئ أن يختار لتدبره زماناً مناسباً، وقد نبه ابن الجوزي على هذا الأمر بشكل عام فقال: "ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل"[124].

فينبغي لمن أراد تدبر القرآن أن يرتّب أوقاته وينظمها، وينتهز الفرص، ويستغلها في تدبر القرآن، فإنه بهذا التنظيم سيجني ثماره النافعة، وينال الفائدة المرجوة، ومن هنا يلزم قارئ القرآن تحري الظروف المناسبة التي يتذوق فيها معاني الآيات، ويشعر فيها بالراحة الجسدية والنفسية، فيقلب في ذهنه ما عنده من اطلاعات كانت ثمرة تدبره، والأفضل في التدبر هو وقت السحر، وبعد صلاة الصبح، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَ أَقْوَمُ قِيلًا﴾ [سورة المزمل، الآية: 6]، ففي هذه الأوقات تهدأ الأصوات، وتسكن الحركات، بيد أن الناس يتفاوتون في استيعابهم ومقدرتهم، كما أن العقول تتفاوت في مداركها، والظروف ليست سواء لدى الجميع؛ فتجد من هو متحمس يجد راحة تامة في التدبر وقت السحر، ومنهم من يغلب عليه النوم.

ولابد لقارئ القرآن أن يتحرى الاماكن التي هي أنسب لاستحضار المعاني، فيختار مكاناً هادئاً يلائم حضور التدبر والفهم؛ فلا تصلح الشوارع العامة أو الحدائق لهذا الغرض، أو أماكن يجتمع فيها الناس، وأفضل الأماكن هي المساجد، لاسيما بعد انقضاء الصلاة فيها، أو يتخذ من بيته غرفة خالية، وعليه التركيز، وصرف النظر عن كل ما يشغله من زخارف وألوان، ومن ذلك إقفال الهاتف النقال، والابتعاد عن جهاز التلفاز، وأماكن الضجيج، حتى يصل إلى لذة التدبر في مطالع ومقاطع الآيات، وبذلك يجد المعني حلاة التدبر، ويتذوق المعاني القرآنية.

ومن صور التدبر ما يبدو للناظر من انحطاط وهزل أيّ قول إزاء مقارنته بهذا القول الفصل، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [سورة الطارق، الآية: 13 – 14]، وهذا كلام الله وشأنه الرفعة، ومن نظر ممعناً في العبارة القرآنية والتنوع الدلالي الذي تحتويه، يستشعر المضامين الراقية، وير لمعان وبريق اللفظ القرآني بين غيره من ألفاظ غير القرآن، حتى وإن وصفت تلك الألفاظ بأنها قمة في البلاغة والرقي، وبدت للناظرين كأنها نجوم، فإن ألفاظ القرآن قمر بين هذه النجوم، إن لم تكن طمستها جراء أنوار هذا التنزيل، وهذا مثال نستبين من خلاله إعجاز التعبير القرآني، ودقته المتناهية التي لا يستطيع أن يصل إلى مستواها البشر، فمن أي جهة استمعت منصتاً لكلام الله، دلّك على عظمة المتكلم كمالاً، وعلماً، وحكمة، فإن وجدت قصوراً، فأعد الكرة، ينقلب ما بدا لك خاسئاً وهو حسير.

وقد أدرك كثير من العلماء هذه الحقيقة؛ كأبي بكر الباقلاني، وأبي هلال العسكري، وعبد القاهر، والسكاكي، وابن الأثير، مما جعلهم يتصدون للموازنة بين ما ورد في القرآن من ضروب البلاغة، وبين ما ورد في بليغ كلام العرب من بعض فنون البلاغة، مع أن كلماته كلمات كلامهم، وكذا هيئات تراكيبه[125]، والجدير بالذكر أن بعض العلماء نبه على هذا الأمر حين استخدم بعض ألفاظ القرآن بوضعها بين غيرها من الألفاظ، ومن بين هؤلاء السيوطي الذي استشهد بهذه الأبيات:

"يا من عدا ثم اعتدى ثم اقترف

ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف

أبشر بقول الله في آياته:

(إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف)"[126]

ومن أمثلته كذلك استخدام الطاهر بن عاشور هذا الأسلوب بقوله: "وما أنا بمستقص دلائل الإعجاز في آحاد الآيات والسور، فذلك له مصنفاته، وكل صغير وكبير مستطر"[127].

ويستعان على كشف المعاني وإبانتها بالنظر والاطلاع على كتب التفسير التي تقرب الدلالة الأصلية، والكشف عن معاني الألفاظ الغامضة من خلال كتب مفردات القرآن، فينبغي الاستفادة من أرصدة هؤلاء المتدبرين، حتى تتضح دلالات هذه الألفاظ منطوقاً ومفهوماً، فإن ضياع هذه المفردات ضياع للفهم؛ لأنها مفاتيح الدلالة الكبرى لبيان مفردات القرآن.

ولا شك أن القرآن الكريم معجزة مستدامة على امتداد الدهر، يجذب ببيانه وبلاغته قلوب المستضيئين بنوره، وجمله بمجموع صورها البيانية هي ميدان التدبر، والتنبيه على تدبر القرآن وتوبيخ من لم يتدبره شيء لافت للنظر في عدد من الآيات، والآيات الدالة على ذلك فيه كثيرة تقدم ذكرها مع بيان معانيها.

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى أن الإنسان - بطبعه - لديه طاقة فطرية في حب الاطلاع والكشف عن كل ما هو جديد، فحينما يقف أمام آية يتأملها، ويسلط عليها مداركه، يجد ألفاظاً في غاية الدقة والتمكّن دلالياً، ويحسّ بباطنه أنه يتجاوب معها، ويكتسب حاسّية وملكة في توارد الخواطر لديه، فإذا ما انفرد بنفسه في حضور التدبر والفهم، انكشفت له أسرار عجيبة، وتواردت لديه أفكار جديدة، وكلما بالغ في التدبر عاد منه بزاد جديد، لأن من أصبح تدبر القرآن له عادة قلّ ما ينحرف، يقول الطاهر بن عاشور: "إن دقائق الإعجاز التي تحتوي عليها آيات القرآن تزيد كل آية تنزل منها أو تتكرر على الأسماع سامعها يقيناً بأنها من عند الله، فتزيده استدلالاً على ما في نفسه، وذلك يقوي الإيمان حتى يصل إلى مرتبة تقرب من الضرورة على نحو ما يحصل في تواتر الخبر من اليقين بصدق المخبرين، ويحصل مع تلك الزيادة زيادة في الإقبال عليها بشراشر القلوب ثم في العمل بما تتضمنه من أمر أو نهي، حتى يحصل كمال التقوى"[128].

فإذا علمت أن هذا هو حال الإنسان السوي، الراغب في التدبر، والمقبل على القرآن بقلبه، فلا تسأل عن المنحرف الغارق في الذنوب والمعاصي حين تصطدم فطرته بما يوقظها، فإنه يقف موقف الحيرة، والاعتراف بستر الله تعالى عليه، وتتجلى له مشاهد العبودية، وإذا كانت في قلبه ظلمة فسوف يضيئها التدبر بنور القرآن، ومع هذا كله فقد أخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التدبر، وهجرانهم لكتابه، لأن ترك تدبره وتفهمه يعد من هجرانه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: 30].

وبه يعلم أن كمال الإيمان لا يحصل إلا بكثرة القراءة والاستماع، مع التدبر بنية الاهتداء والعمل به، فكل من لم يشتغل بتدبر آيات القرآن يعد هاجراً له، وترك المعاصي يكون بقدر تدبر القرآن، وينقص ويضعف على هذه النسبة من ترك تدبره[129].

الخاتمة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأزكى صلوات الله وتسليماته على المصطفى من أطهر الأنساب، وأشرف الأحساب، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد تم الانتهاء - بعون الله تعالى وتوفيقه - من إتمام هذا البحث، وما هو إلا محاولة لا تتعدى رشفة من ينابيع القرآن الكريم، فهو كتاب لا تنقضي عجائبه، ولا يمله الأتقياء، وأوضح بكل صدق وأمانة أن ما تم عرضه في ثناياه، لا يمكن أن يكون قد أحاط بالموضوع إحاطة تامة، وإنما هو خطوة في هذا الطريق، ولبنة في هذا البناء العظيم، وليس للباحث فيه إلا الجمع والترتيب، والله أسأل أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

وبقي أن يشار إلى أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة، وقد تسنى للباحث الخروج بخلاصة تتضمن أهم النتائج، يتم إجمالها في ما يلي:

أولاً: النتائج:

1- التدبر خير زاد للتّقوى، فبه تتحقق العبودية؛ لأنه قيمة عقليّة كبرى، تجنب صاحبها الذّنوب وتشوقه إلى الاكثار من التلاوة وفهم المعاني واستحضارها.

2- أنزل الله القرآن ليكون نوراً للناس يثمر سعادتهم في الدّارين، ومنهجاً للحياة في سائر شئون الدين من عقيدة وعبادات ومعاملات وأخلاق.

3- نبه القرآن الكريم على أن الكون وتنوعه علامات بينة تثبت عجائب قدرة الله وبدائع حكمته ووحدانيته، فهو يدعو العقول

إلى التأمل في حكمة ما شرع الله لعباده، مما يجعل المسلم على صلة مع ربّه، ويوصله إلى لذة التدبر.

4- اهتم القرآن الكريم بتربية النفوس، ودعا المخاطبين إلى التدبر والتفكر في الكون، وفي خلق السموات والأرض وما فيهما من مخلوقات، فيكون باعثاً تستنير به العقول وتصلح به القلوب.

5- أن غاية التدبر هي بلوغ هدايات القرآن لتمسّ القلوب المعرضة وتزداد بها القلوب المؤمنة إيماناً، وهو زاد للدعاة واضح المعالم والدلالات، دلت التجارب على نجاحه وفاعليته في الدعوة.

ثانياً: التوصيات:

1- ينبغي أن يكون تدبر القرآن الكريم غرضاً للناظر في آياته، فالأمة الإسلامية في العصر الراهن بحاجة ماسة إلى المتدبرين أكثر من حاجتها إلى المفسرين، وكتاب بهذه الصفات لهو أحق أن يتبع، ويفهم المراد من إنزاله.

2- ينبغي لتالي القرآن أن يستحضر عظمة المتكلم ويتدبر ويتفهم معانيه، وأن يقف على مراد الله تعالى منه، ويطبع نفسه على قبول ما جاء به قبولاً ينعكس أثره، فيستوضح من كل آية ما يليق بها.

3- لا شك أن الرغبة في الأعمال الصالحة والقرب من الله يزدادان بتلاوة القرآن وبسماعه؛ فللتلاوة الجيدة أكبر الأثر في فهم معانى القرآن التدبر الذى يحرك المشاعر ويطمئن القلوب.

4- كان لزاماً على المسلمين قراءة القرآن قراءة يصحبها التدبر والخشوع مع الآيات حتى تتفاعل معها القلوب والأفئدة، وبالتالي ينعكس ذلك على الجوارح والسلوك.

وختاماً يرجو الباحث أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، فاللهم غفرانك فيما أخطأت فيه من رأي رجحته، أو صواب خطأته، أو خطإٍ صوبته، وصلّ اللّهم وسلم وبارك على سيدنا محمد أبد الآبدين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(1) ينظر: لسان العرب/ أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور(ت: 711ه)، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، 1423ه- 2003م ، مادة: (دبر)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/ أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: 770ه)، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، د: ط، د: ت، مادة: (دبر).

(2) ينظر: التعريفات/ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816ه)، تحقيق: نخبة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1403ه - 1983م، (54)، التوقيف على مهمات التعاريف/ زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي (ت: 1031ه)، عالم الكتب، القاهرة، ط: الأولى، 1410ه- 1990م، (93).

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270ه)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1415ه، (89/3).

(4) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538ه)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، 1407ه، (540/1).

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542ه)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1422ه، (83/2).

(6) التحرير والتنوير/ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393ه)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984ه، (87/18).

(7) الكليات/ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094ه)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، (287).

(8) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751ه)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، 1416ه- 1996م، (449/1).

(9) ينظر: تفسير المراغي، (155/9).

(10) المعجم الأوسط للطبراني، برقم (6319)، والحديث ضعيف وإن كان معناه صحيحاً؛ لأن فيه الوازع بن نافع، وهو متروك، ينظر: المقاصد الحسنة، (261).

(11) أخرجه مسلم من حديث حذيفة بن اليمان -ﷺ- في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم (772).

(12) أخرجه أبو داود من حديث عوف بن مالك -ﷺ- في كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم (873)، واللفظ له، والنسائي في سننه، كتاب: التطبيق، باب: الدعاء في السجود، برقم (1132)، والحديث صححه الألباني عند كلاهما.

(13) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود -ﷺ- في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الواقعة، برقم (3297)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، وحكم الألباني: (صحيح).

(14) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الثانية، 1392ه، (88/6).

(15) متفق عليه من حديث أنس بن مالك -ﷺ-، أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: (كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ناصية كاذبة خاطئة)، برقم (4960)، وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل، والحذاق فيه، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه، برقم (799)، واللفظ لمسلم.

(16) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي ذر -ﷺ- في كتاب: إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب: ما جاء في القراءة في صلاة الليل، برقم (1350)، وحكم الألباني: (حسن)

عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثانية، 1426هـ - 2005م، (174/2).

(35) البرهان في علوم القرآن/ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب، ط: الأولى، 1376هـ - 1957م، (180/2).

(36) ينظر: إتمام الدراية لقراء النهاية/ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (911هـ)، تحقيق: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1405هـ - 1985م، (212).

(37) تفسير المنار، (370/1).

(38) تفسير الشعراوي (الخواطر) محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، 1997م، (15/ 9130).

(39) مفاتيح الغيب، (106/7).

(40) مناهل العرفان، (206/2).

(41) ينظر: العقائد الإسلامية/ سيد سابق (ت: 1420هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، د: ط، د: ت، (22).

(42) إحياء علوم الدين، (423/4).

(43) أحكام القرآن/ القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت: 543هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، 1424هـ - 2003م، (351/2).

(44) مباحث في علوم القرآن/ صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط: الرابعة والعشرون، 2000م، (292).

(45) مجموع الفتاوى، (629/11).

(46) المحرر الوجيز، (83/2).

(47) الكشاف، (540/1).

(48) ينظر: تفسير المراغي، (7/7).

(49) ينظر: تفسير المنار، (461/9).

(50) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420هـ - 2000م، (3768/5)

(51) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (366/7)، تفسير المنار، (491/9).

(52) ينظر: تفسير الطبري، (4162/5)، المحرر الوجيز، (98/3).

(53) ينظر: تفسير الطبري، (5511/7)، تفسير ابن كثير، (215/5).

(54) ينظر: ينظر: تفسير الطبري، (56/19).

(55) أحكام القرآن لابن العربي، (366/3).

(56) سجود التلاوة معانيه وأحكامه/ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1416هـ - 1996م، (38).

(57) فتح القدير/ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1414هـ، (494/4).

(58) مفتاح دار السعادة/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د: ط، د: ت، (187/1).

(17) ينظر: الجامع لأحكام القرآن/ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: 671هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1425هـ - 2004م، (249/15).

(18) أمراض القلب وشفاؤها/ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، المطبعة السلفية – القاهرة، ط: الثانية، 1399هـ، (75).

(19) التبيان في آداب حملة القرآن/ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، تحقيق: عدنان بن عبد الله زهار، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1432هـ - 2011م، (62).

(20) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: 430هـ)، السعادة، بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م، (33/1).

(21) ينظر: تفسير القرآن العظيم/ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1419هـ، (400/7).

(22) ينظر: أمراض القلب وشفاؤها، (75)، إحياء علوم الدين، (282/1).

(23) رواه الإمام أحمد في الزهد/ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1420هـ - 1999م، (106)، برقم (2368).

(24) ينظر: حلية الأولياء، (60/1).

(25) رواه الدارمي في سننه، باب: من قال: العلم: الخشية وتقوى الله، برقم (305).

(26) الإتقان في علوم القرآن/ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 1394هـ - 1974م، (367/1).

(27) فضائل القرآن/ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، مكتبة ابن تيمية، ط: الأولى، 1416هـ، (26).

(28) شعب الإيمان للبيهقي، (261/1)، حلية الأولياء، (208/1).

(29) السنن الكبرى للنسائي، كتاب: المواعظ، برقم (11850)، حلية الأولياء، (208/1).

(30) أخرجه البخاري من حديث جبير بن مطعم ﷺ في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: {وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب}، برقم (4854).

(31) مفتاح دار السعادة/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د: ط، د: ت، (187/1).

(32) ينظر: مدارج السالكين، (449/1).

(33) إحياء علوم الدين، (423/4).

(34) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد/ محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (ت: 386هـ)، تحقيق: د.

(87) التعريفات، (63).

(88) التحرير والتنوير، (51/21).

(89) تفسير الشعراوي، (4467/7).

(90) ينظر: الصحاح، مادة: (ذكر)، لسان العرب، مادة: (ذكر).

(91) التحرير والتنوير، (89/11).

(92) الكليات، (67/1).

(93) مفاتيح الغيب، (421/2).

(94) تفسير المراغي، (125/30).

(95) مفتاح دار السعادة، (188/1).

(96) ينظر: تفسير الشعراوي، (17/ 10520).

(97) ينظر: الفوائد/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثانية، 1393هـ - 1973م، (20).

(98) تفسير ابن كثير، (260/4).

(99) جواهر القرآن/ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، تحقيق: سالم شمس الدين، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، لبنان، 1427هـ - 2006م، (46).

(100) ينظر: تفسير المنار، (342/9)، تفسير المراغي، (109/9).

(101) ينظر: تفسير الطبري، (3713/5).

(102) ينظر: مفاتيح الغيب، (522/18).

(103) المصدر السابق، (93/19).

(104) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (327/10).

(105) التحرير والتنوير، (397/23).

(106) ينظر: تفسير الطبري، (809/1- 812).

(107) مفاتيح الغيب، (174/4).

(108) تفسير المنار، (52/2).

(109) ينظر: زاد المسير، (129/1).

(110) مفاتيح الغيب، (458/9).

(111) ينظر: فتح القدير للشوكاني، (470/1).

(112) ينظر: تفسير المنار، 396/11)، تفسير المراغي، (11:160).

(113) المحرر الوجيز، (295/3).

(114) زاد المسير، (482/2).

(115) ينظر: تفسير المراغي، (100/15)، التحرير والتنوير، (219/5).

(116) تفسير ابن كثير، (297/5).

(117) ينظر: تفسير المراغي، (24/17)، القرآن وإعجازه العلمي/ محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة، (61)، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، كود المادة: GUQR5313 وGAQD5133، المرحلة: ماجستير، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، (23).

(118) ينظر: القرآن وعلوم الأرض/ محمد سميح عافية، الزهراء للإعلام العربي، ط: الأولى 1414هـ - 1994م، (30).

(119) تفسير ابن كثير، (438/6).

(59) ينظر: تفسير الطبري، (179/22).

(60) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1415هـ - 1995م، (257/7).

(61) تفسير الطبري، (7066/9).

(62) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، (388/23)، روح المعاني، (259/23).

(63) المحرر الوجيز، (528/4).

(64) ينظر: تفسير الطبري، (7894/9)، تفسير ابن كثير، (52/8).

(65) التفسير ورجاله/ محمد الفاضل بن عاشور، شركة الإعلانات الشرقية، دار الجمهورية للصحافة، مجلة الأزهر 1425هـ، (35/1 – 36).

(66) ينظر: كيف نتعامل مع القرآن/ يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط: الثانية، 2011م، (247).

(67) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه/ عدنان محمد زرزور، دار القلم - دار الشامية، دمشق – بيروت، ط: الثانية، 1419هـ - 1998م، (241).

(68) ينظر: تفسير الشعراوي، (2/ 692).

(69) إحياء علوم الدين، (426/4).

(70) ينظر: الفروق اللغوية، (88)

(71) تفسير الشعراوي، (4/ 2468).

(72) مفتاح دار السعادة، (182/1).

(73) ينظر: مقاييس اللغة/ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د: ط، 1399هـ - 1979م، مادة: (أمل).

(74) ينظر: لسان العرب، مادة: (أمل).

(75) الفروق اللغوية/ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت: 400هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثانية، 2010م، (87).

(76) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم/ محمد بن علي ابن القاضي التهانوي (ت: بعد 1158هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط: الأولى، 1996م، (1551/2).

(77) مقاييس اللغة، مادة: (عبر).

(78) الكليات، (147).

(79) مفاتيح الغيب/ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي الملقب بخطيب الري (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، 1420هـ، (504/29).

(80) التوقيف على مهمات التعاريف، (55).

(81) التعريفات، (30).

(82) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع/ عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، ط: الخامسة والعشرون، 1428هـ - 2007م، (219).

(83) أخلاق أهل القرآن، (43).

(84) ينظر: مقاييس اللغة، مادة: (فكر)، المصباح المنير، مادة: (فكر).

(85) الصحاح، مادة: (فكر).

(86) ينظر: الفروق في اللغة، (75/1).

9- التحرير والتنوير/ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هم، (242/11).

10- التعريفات/ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1403هـ - 1983م.

11- تفسير الشعراوي (الخواطر) محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، 1997م.

12- تفسير القرآن العظيم/ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1419هـ

13- تفسير المراغي/ أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، 1365هـ - 1946م.

14- تفسير القرآن الحكيم/ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

15- التفسير ورجاله/ محمد الفاضل بن عاشور، شركة الإعلانات الشرقية، دار الجمهورية للصحافة، مجلة الأزهر 1425هـ

16- التوقيف على مهمات التعاريف/ زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي (ت: 1031هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط: الأولى، 1410هـ - 1990م.

17- الجامع لأحكام القرآن/ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: 671هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1425هـ - 2004م.

18- جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420هـ - 2000م.

19- جواهر القرآن/ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، تحقي: د محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط: الثانية، 1406هـ - 1986م.

20- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: 430هـ)، السعادة، بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.

21- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1415هـ

22- سجود التلاوة معانيه وأحكامه/ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1416هـ - 1996م.

23- سنن أبي داود/ أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت:275هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، 1430هـ - 2009م.

(120) لباب التأويل في معاني التنزيل/ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: 741هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1415هـ، (147/4).

(121) المصدر السابق، (10/1).

(122) في ظلال القرآن، (3297/6).

(123) الإتقان في علوم القرآن، (369/1)، التبيان في آداب حملة القرآن، (62)..

(124) صيد الخاطر/ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، ط: الأولى، 1425هـ - 2004م، (33).

(125) ينظر: التحرير والتنوير، (106/1)

(126) الإتقان في علوم القرآن، (388/1).

(127) التحرير والتنوير، (101/1).

(128) التحرير والتنوير، (259/9).

(129) ينظر: تفسير المنار، (463/9).

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

1- الإتقان في علوم القرآن/ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004م.

2- إتمام الدراية لقراء النهاية/ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (911هـ)، تحقيق: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1405هـ - 1985م.

3- أحكام القرآن/ القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت: 543هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، 1424هـ - 2003م.

4- إحياء علوم الدين/ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: 505هـ)، تحقيق: أبو حفص سيد بن إبراهيم، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1419هـ - 1998م.

5- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع/ عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، ط: الخامسة والعشرون، 1428هـ - 2007م.

6- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1415هـ - 1995م.

7- البرهان في علوم القرآن/ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب، ط: الأولى، 1376هـ - 1957م.

8- التبيان في آداب حملة القرآن/ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، تحقيق: عدنان بن عبد الله زهار، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1432هـ - 2011م.

24- سنن الترمذي/ محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر - محمد فؤاد عبد الباقي - إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: الثانية، 1395هـ - 1975م.

25- سنن الدارمي/ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام الدارمي (ت: 255هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1412هـ - 2000م.

26- شعب الإيمان/ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: 458هـ)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: الأولى، 1421هـ - 2000م.

27- الصّحاح/ إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1426هـ - 2005م.

28- صحيح البخاري/ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، عمان – الأردن، الطبعة: الأولى، 2005م.

29- صحيح مسلم/ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت: 261هـ)، بيت الأفكار الدولية، عمان – الأردن، الطبعة: الأولى، 2005م.

30- صيد الخاطر/ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، ط: الأولى، 1425هـ - 2004م.

31- العقائد الإسلامية/ سيد سابق (ت 1420هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، د: ط، د: ت.

32- فتح القدير/ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1414هـ.

33- الفروق اللغوية/ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت: 400هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثانية، 2010م.

34- فضائل القرآن/ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، مكتبة ابن تيمية، ط: الأولى، 1416هـ.

35- الفوائد/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثانية، 1393هـ - 1973م.

36- في ظلال القرآن في ظلال القرآن/ سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ)، دار الشروق، بيروت – القاهرة، ط: السابعة عشر، 1412هـ.

37- القرآن وإعجازه العلمي/ محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة، (61)، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، كود المادة: GUQR5313 وGAQD5133، المرحلة: ماجستير، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية.

38- القرآن وعلوم الأرض/ محمد سميح عافية، الزهراء للإعلام العربي، ط: الأولى 1414هـ - 1994م.

39- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم/ محمد بن علي ابن القاضي التهانوي (ت: بعد 1158هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط: الأولى، 1996م.

40- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، 1407هـ.

41- الكليات/ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.

42- كيف نتعامل مع القرآن/ يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط: الثانية، 2011م.

43- لسان العرب/ أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور(ت: 711هـ)، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، 1423هـ - 2003م.

44- مباحث في علوم القرآن/ صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط: الرابعة والعشرون، د: ط، د: ت.

45- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1422هـ.

46- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة، 1416هـ - 1996م.

47- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه/ عدنان محمد زرزور، دار القلم - دار الشامية، دمشق – بيروت، ط: الثانية، 1419هـ - 1998م.

48- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/ أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: 770هـ)، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، د: ط، د: ت.

49- مفتاح دار السعادة/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د: ط، د: ت.

50- مفاتيح الغيب/ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي الملقب بخطيب الري (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، 1420هـ.

51- مقاييس اللغة/ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د: ط، 1399هـ - 1979م.

52- مناهل العرفان في علوم القرآن/ محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: 1367هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الطبعة الثالثة، د: ط، د: ت.

57- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الثانية، 1392هـ